مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للاساتذة

الدكتور محمد مظهر سعيد	الاستاذ احمد على نور الدين
« محمد مصطفى حلمى	« محمود محمد عماره
« عبد الحليم محمود	« محمد على الطعمى
« مصطفى وصفى	« حامد محمود الزفزى
« ابراهيم عبده	« عبد المنصف عبد الفتاح
« عبد الوهاب خلاف	« محمد لبيب البوهى
الاستاذ حسنى طه شكيبان	« محمد محمود علوان

طه عبد الباقى سرور

مع الابواب الثابتة : ندوة المجلة . اعرف بلادك . قصص الصالحين . اخبار صوفية

مع هذا العدد هدية
كتاب (التصوف الاسلامى)

الثمن ٥ مـ

الاشتراك السنوي
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تلفون ٥١٣٩٣

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

العدد التاسع ١ فبراير سنة ١٩٥٩ م الموافق ٢٣ رجب سنة ١٣٧٨ هـ

التصوف والتربية الخلقية
في مدارسنا وجامعاتنا

لسماحة السيد الاستاذ محمد محمود علوان

تحدثنا في مقالنا السابق عن ضعف المنهج الديني في مدارسنا ومعاهدنا وأبنا عن اثر ذلك في نهضتنا وثقافتنا وحياتنا . وقلنا ان التصوف الاسلامي يملك مناهجا في التربية الخلقية ، هي اهدى وأكمل المناهج العالمية .

ونحب اليوم أن نعرض بالتوضيح والتفصيل لعناية الاسلام بالروح الخلقي في مناهجه التربوية ، وعناية المتصوفة خاصة بتنشئة الشباب تنشئة مثالية عالية ، أتت أكلها الطيبة للعالم الاسلامي ، واستطاعت ان تجعله القوة العالمية الاولى قرونا وأحقابا ، كما استطاعت ان تجعل حضارته كما يقول ـ غوستاف لوبون ـ « اسمى الحضارات وأهداها وأرحمها وأقربها الى مكارم الاخلاق ، ومثاليات الايمان » .

لقد نظر الاسلام الى العلم والتعليم نظرة اجلال وتقديس ، وجعل العلم

وأهله الطبقة النبيلة التى تعلو طبقات المجتمع كافة ، ويقرر القرآن الكريم بانه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، كما أنه لا تستوى الظلمات والنور ، والاعمى والبصير .

وأثبت الاسلام منذ يومه الاول ، انه دين حضارى ثقافى جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، من ظلمات الشرك والبغى والاثم والجهل الى أنوار التوحيد والعدل والبر والعلم .

ولهذا قرر رسوله العظيم صلوات الله وسلامه عليه : ان المداد الذى يريقه طالب العلم ، تسمو مكانته حتى يساوى دم الشهداء فى ميدان الجهاد .

يقول المستشرق الدكتور « ارثر اربرى » فى مقدمته لكتاب التربية الاسلامية : « للاسلام على الجنس البشرى مآثر تدعو الى الاعجاب ، وتستدعى الشكران ، بما أعلى من شأن العلم والتعليم ، وبما اشترط فى العلم والتعليم من قيامهما على الطهارة والخلق وخدمة الانسانية » .

ان الصراع العالمى اليوم الذى يدور بين أقوى دولتين فى الارض يرتكز أول ما يرتكز على التسابق فى ميادين العلم ، ويستهدف أول ما يستهدف التفوق العلمى ، لأن هذا التفوق هو وحده الفيصل الذى يقرر نتيجة هذا الصراع ومن هنا أخذت الجامعات والمعاهد فى الدولتين الكبيرتين تربط بين التعليم والوطنية ، فطالب العلم يلقن أول ما يلقن ، انه يتعلم لا لوظيفه ، ولا للنفع الشخصى فحسب ، وانما يتعلم لتعتز أمته بعلمه ، ولتنتصر أمته بتفوقه .

ان طالب العلم هو جندى فى الميدان ، هو مؤسسة وطنية تستهدف قوة الوطن وعزته وسعادته ، وبذلك تشتعل فى نفس الطالب وتتوهج مشاعل الوطنية والمثالية ، وتتقد دوافع النضال فى عزماته ، فيأخذ دروسه وعلومه فى قوة وعزم وتصميم ، وفناء فى سبيل المثل الاعلى الذى تنشده أمته ، ويحرص عليه وطنه .

والاسلام قد حقق هذه الاهداف كافة فى برامجه التربوية ، وزاد عليها بالروح والخلق والتسامى .

فالعلم فى نظر الاسلام ليس بمهنة ولا حرفة ، انه رسالة ، ولهذه الرسالة هدفا انسانيا ، وطلب العلم فى نظر الاسلام جهاد فى سبيل الله ، وفى سبيل خير الناس كافة ، وطالب العلم يعلم ان العلم هو أولا ، أدب النفس ، وطهارة الخلق ، ونفع الانسانية ، والتعاون على البر والتقوى ، وصالحات الاعمال وطيباتها ، ومن هنا يثمر العلم القوة ، كما يثمر الايمان والاخلاق ، ويغدو طالب العلم أعلى نموذج للانسان المثقف المهذب المجاهد فى سبيل الخير والحق .

تقول دائرة المعارف الاسلامية : « ان الآداب والاخلاق كانت تقدم فى دور العلم الاسلامية على العلم نفسه » .

ويقول حجة الاسلام الامام الغزالى ، وهو أكبر رجال التربية الاسلامية وفى طليعة أساتذتها : « ان المعلم يأخذ رسالة الرسول ودوره فواجبه فوق التعليم أن يكون بخلقه وعمله قدوة صالحة ، وان يحرص على توجيه من يعلمه الى وجهات الخير والحق » .

ويقرر أيضا فى كتابه العظيم - ميزان العمل : « ان التربية ليست مقصورة على التعليم وانما تشمل ألوانا أخرى لا تقل أهمية عن العلم نفسه . وان واجب المعلم الهاب الكرامة النفسية فى القلوب وتنفير الكرامة من أن تتدنس برذائل حيوانية حقيرة » .

ثم يقول : « ان تربية الخلق الفاضل ، يكون بالتخلق اى حمل النفس على الاعمال الصالحة ، ومن هنا يجب أن نولى الرياضة الروحية عنايتنا فهى أهدى السبل وأقصرها الى مكارم الاخلاق » .

ويقرر الامام الغزالى أيضا أن كل علم يقرب الى الله ومن هنا يجب أن نأخذه كأنه عبادة ، وان نصونه بالطاعة ، وأن نستعين عليه بالطهارة ، ويقول : « ان من قصد التقرب الى الله بالعلوم على اختلاف أنواعها نفعه الله ورفعه » .

ويقول فى كتابه الميزان : « فلولا ان الله حبب علم الفقه والنحو والطب والرياضة الى آخر العلوم فى قلوب طوائف من الناس ، لبقيت هذه العلوم معطلة ، ولتشوش النظام الكلى » .

والغاية من العلوم عند الغزالى ، هو بلوغ النفس كمالها ، ولهذا فمن الواجبات المقدسة عند المتعلم اذا بلغ الغاية من العلوم ، أن يعلم غيره حتى تتم حلقة العلم فيشمل الانسانية كافة .

ثم يعطف على واجبات الاستاذ والطالب فيقول : « وعلى المعلم واجبات أهمها : أن يجعل تلاميذه عنده كبنيه تماما حبا ورعاية واخلاصا فى تثقيفهم وتعليمهم وتهذيبهم بالمثل العليا التى تفيدهم وتفيد الانسانية على أيديهم .

وعليه أن يعمل بما علم ، قبل أن يدعو الناس الى علمه ، فمعلم الشرع لا يكذب حاله مقاله ، والا نفر الناس من آدابه وشرعه ، والطبيب اذا ما زجر الناس عنه حملهم على الهزء به ، وتناول ما نهاهم عنه فيضل ويضل » .

والعلم والعمل صفتان متلازمتان عند الغزالى فلا قوام لاحداهما بدون الآخـر ٠

وواجب طالب العلم ان ينظر الى العلم نظرة تقديس واجلال واحترام ، وأن يعلم ان العلم جهاد للكمال ، وان طاعة الله تعين على العلم ، وان رياضة الروح تفتح عين القلب ، وعين العقل ، وان العلم اذا وصل الى نفس شريرة غدا شرا على نفسه وعلى الانسانية كافة ٠

تلك نظرة المتصوفة الى العلوم ، والى آداب المعلم والمتعلم ، وسنحدثك فى مقال تال ان شاء الله عن الأدب المثالى ، والخلق العالى عند المتصوفة ٠٠ آملين أن يلقى ما نكتبه نورا يرشد الى جلال التربية الخلقيـــة والدينية ، وضرورة العناية بها فى جامعاتنا ومدارسنا كى ترتكز نهضتنا الحاضرة على أسس من القوة والعزة ، ورضوان الله وهداه ٠

والله يهدى الى الحق ، ويرشد الى سواء السبيل ٠

محمد محمود علوان

هدية مع هذا العدد

اطلب من البائع نسختك من كتـــاب « التصوف الاسلامى رسالته ومبادئه » ٠ انه هدية من مشيخة الطرق الصوفية لقراء مجلة « الاسلام والتصوف » ٠

اقرأه وأحرص عليه ٠ وقدمه الى من تحب ٠

ويسر ادارة المجلة أن ترسله مجانا لكل من يطلبـــه تعميما لفائدته ٠

في موكب الذكرى :

السيدة زينب

حفيدة النبي وبطلة كربلاء

للاستاذ طه عبد الباقي سرور

زينب حفيدة رسول الله ، اسم تردده الشفاه ، فى خشوع كالصلاة ، رفع الله ذكرها ، وأنار سيرتها ، وأفاض عليها من رضوانه حبا وعطرا ، وهدى وطهرا ، تشرق به النفس ، ويستريح لديه الحس ، ويشيع به الانس ، اصطفاها الله من خير بيت فى العالمين ، ومن أزكى سلالة فى النبيين ، ثم حباها واجتباها ، فأفاض عليها لقبا فى الخالدين • انها عقيلة الهاشميين ، وريحانة بيت سيد المرسلين •

أمها فاطمة الزهراء ، ومن له المجد كالزهراء ، بضعة من كبد رسول الله ومن نوره وسناه وهداه ، يريبه ما رابها ، ويسره ما سرها ، وأبوها على ، ومن كعلى ، ينظر اليه الرسول يوم الاحزاب ، وقد خرج لقتال عمرو بن ود العامرى ، فارس الجاهلية وجبارها ، فيخفق قلب الرسول العظيم اشفاقا على أخيه وصفيه وأحب آله اليه ، فيرفع كفه الى السماء ضارعا متبتلا : « **ربى لا تذرنى فردا** » ••

ويقول له يوم « تبوك » يوم أرجف المنافقون بعلى : « ألا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » •

ويهتف صلوات الله وسلامه عليه ، يوم استعصى حصن خيبر على الكماة المقاتلين : « لأعطين الراية غدا ، رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ولا يدخل الجنة كاره لهما : « **قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة** لهذا الشرف الرفيع ، فيقول الرسول صلوات الله عليه : أين على ؟ ••

وشقيقاها الحسن والحسين ، خفقة قلب الرسول ، ونور عينه ،وابتسامة فمه ، وأمل غده ، سيدا شباب أهل الجنة ، من أحبهما فقد أحب الله ورسوله ، ولا يدخل الجنة كاره لهما : « **قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى** » •

روى الترمذى • قال : قال صلوات الله وسلامه عليه : « لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه ، وتكون عترتى أحب اليه من عترته ، وأهلى أحب اليه من أهله ، وذاتى أحب اليه من ذاته » •

واخرج الطبرانى عن ابن عمر قال : « آخر ما تكلم به النبى صلوات الله عليه : اخلفونى فى أهل بيتى »

ذلك هو البيت الذى أنجب النبيلة العفيفة المجاهدة ، زينب الخالدة رضوان الله عليها ، وهو بيت ترتكز دعائمه على قلوب الامة الاسلامية ، ويعيش آله فى الحس والشعور والشغاف من حبة فؤاد كل مؤمن .

وهو بيت اختص وحده فى التاريخ بأعجب المتناقضات ، فلم يظفر بيت فى الوجود بمثل ما ظفر به من الحب والاجلال والتقديس .. ومع هذا فلم يشهد بيت فى العالمين ، ما شهد هذا البيت من مآسى ونكبات ومحن .. لقد ابتلى على مقدار مكانته ،فأشد الناس ابتلاء الانبياء ، ثم الامثل فالامثل كما حدثنا الصادق الامين .

ولقد عرف هذا الكوكب الارضى ، الذم والغدر والجحود والمروق منذ وجد عليه الانسان ، ومع هذا فقد مضت وستمضى القرون وتبقى مأساة كربلاء وفاجعة الحسين وآله نسيج وحدها بشاعة وفجورا .

ولقد عاصرت السيدة زينب رضوان الله عليها مأساة بيتها كاملة ، عاصرتها طفلة ، ولمستها فتاة ، وخاضت غمارها ، وتولت زمامها ، وهى سيدة مكتملة .

ولدت رضوان الله عليها فى شعبان من السنة الخامسة للهجرة ، وعاشت مع جدها صلوات الله وسلامه عليه ، يحبوها بعطفه وحبه ، ويرعاها بقلبه وحنانه ، ويداعبها ويشمها ويسميها الريحانة ، ويدللها ويباهى بها ويقول : من فى الناس كابنتى زينب ؟ ..

ثم انتقل صلوات الله وسلامه عليه الى الرفيق الاعلى ، فكانت زينب الطفلة أشد آلى البيت حزنا وألما ولوعة ، لقد كان الرسول كل دنياها وحياتها وأنسها وبهجتها .

ثم مشى الموت الى الزهراء رضوان الله عليها ، فكانت تحتضن وهى فى رمقها الاخير زينب وتبكى وتقول : يا حبيبتى لقد فقدت جدك ثم أمك فلك الله ؟ ثم تضمها الى صدرها وقد رأت فى محياها الجميل الذكاء الخارق ، والحنان الدافق ، واليقظة المبكرة ، فتقول لها : يا زينب لقد تركت الحسن والحسين فى وعايتك فكونى لهما أما .

وعاشت زينب رضوان الله عليها أما لاخواتها جميعا ، عاشت سيدة البيت النبوى وراعيته وحاميته ، وحملت وحدها الأمانة الكبرى فتولت اكبر رسالة فى التاريخ ، رسالة الابقاء على السلالة الذكية الطاهرة يوم أن عصفت الاحداث العظمى بالبيت الكريم .

وتبلغ ريحانة بيت النبوة سن شبابها جمالا وكمالا وزواء وبهاء ، على محياها الكريم الوضيء جلال من النور النبوى ، وفى شمائلها الهاشمية عزة البيت العريق .

ويسارع شباب قريش من أعلى الهامات ، وأكرم البيوتات يطلبون يدها ويرجون نوال الشرف الخالد ، والحسب الباقى الى يوم الدين .

ويختار لها أبوها ابن عمها سليل المجد والفخار عبد الله بن جعفر ، فتزف الى أنبل فتى وأعز رجل ، رجل ينظر اليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه اعجابا واكبارا ثم يقول : « أما عبد الله فيشبه خلقى وخلقى ثم يأخذ الرسول بيمينه فيقول : « اللهم اخلف جعفرا فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه ، وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة » .

وقد بارك الله فى صفقة يمينه ، استجابة لدعاء نبيه ، فظفرت يمينه بريحانه بيت النبوة .

ولكن المأساة تمشى الى البيت الكريم ، فها هى قريش تتألب ضد على كرم الله وجهه ، وها هى الحرب تشتعل من جديد ، وتسارع زينب الى جوار أبيها ، فتعيش معه حروب الجمل وصفين ، ثم تشهد مصرعه الدامى ، واغتياله الدنىء .

وتمشى مطامع الدنيا ، وتتسلل شهواتها الى القلوب والعقول ، فيشهد الحسن رضوان الله عليه العاصفة المدوية ويخوض غمارها ، وتلازمه شقيقته الكريمة العظيمة ، انها أخته وأمه وراعيته ، ويموت رضوان الله عليه شهيدا بالسم وهو على صدرها وبين يديها .

ويأتى دور الحسين رضوان الله عليه ، ويا لهف قلبى على الحسين ، حبيب الرسول وحفيده ، وابن الزهراء ، كيف يمزق آهابه ! ويهدر دمه ! وتستباح محارمه ويذبح ابناؤه ، وتسبى نساؤه وبناته ! لم يقتله الفرس ولا الروم ، وانما قتله . ويأبى قلمى أن يكتبها !؟

عاشت السيدة زينب رضوان الله عليها مأساة كربلاء الدامية ، دقيقة بدقيقة ، ولحظة بلحظة ، وقدمت ولديها شهيدين مع خالهما ، ووقفت كالقمة الشامخة ، كالمنارة المشعة ، وقفت فى مستنقع الموت فى بطولة خارقة ، وفدائية سامقة ، تدفع الموت ويأبى أن يندفع ، وتقاوم الجبروت ويأبى الجبروت الا الدم والعار .

وتضيق حلقة الموت الرهيبة حول الحسين وأخته وبنيه وبناته ، ويمنع عنهم الماء ، وتتخطفهم مخالب الوحوش الآدمية ، وتصمد السيدة زينب صمودا يعجز الكماة ، تحتضن ابن الحسين تحميه من الرماح ، فيسبح الرمح الآثم فوق نحرها وينفذ الى الوليد ليصرعه ، ويغمر دمه كل أثوابها

وتقف تحمى الحسين بروحها وجسدها ، فيمزقون الثوب كله ضاحكين صاخبين قبل أن يمزقون الجسد الكريم .

وتقبض على السيوف المشرعة ، بيدها المجردة لتحول بينها وبين دماء النساء والاطفال ..

لقد شهدت رضوان الله عليها مصرع الأحبة جميعا ، ورأت فناء البيت .. بيتها وبيت النبى !؟ ووقفت على الدماء والاشلاء ترسل الكلم كالصواعق وتنادى جدها وأباها وأخاها ، وتستمطر السماء غضبتها وبطشتها الكبرى، والقلوب قد تحجرت ، والآدمية قد انقلبت .

وتحمل البقية الباقية من بنات النبى سبايا الى مقر الخلافة ، ويطالب وحش آدمى بشرائهن كالجوارى . وتدافع زينب عن بقايا بيت النبوة حتى يبكى الجماد ويتصدع من خشية الله ، والقلوب أشد قسوة من الحجارة .

ويهم المعربدون بقتل على بن الحسين وهو البقية الوحيدة الباقية من ذرية الحسين فتفتديه بنفسها وتحميه بجسدها وتنقذه ببيانها وكلمها من الموت الذى يترصده ، والافواه التى ترجو أن تاكله .

لقد حمت السيدة الطاهرة بطلة البيت النبوى وعقيلته عليا بن الحسين يوم كربلاء ، وحمته يوم دمشق ، وبذلك حفظت لبيت النبوة وجوده . وأبقت للدنيا العطر والنور النبوى .

ثم رحلت السيدة باليتامى الضعاف الصغار الى المدينة ، وعلى صوتها الداوى استيقظ العالم الاسلامى . لقد حملت الى الدنيا أنباء الفاجعة الكبرى ، فقامت حركة التوابين للثأر لدم الحسين وآله ، واستنجد والى المدينة بخلافة دمشق مستغيثا من السيدة التى جمعت حولها أحباب البيت وأنصاره ، وأثارت ببيانها وصرخاتها قضية البيت من جديد .

وأمرت الخلافة السيدة التى الهبت الحجاز ان تغادر المدينة فرحلت الى مصر ومن مصر أخذت تلهب الامويين بشواظ من نار ، وأخذت تضع القواعد للانتفاضة الكبرى التى ستديل من الامويين .

لقد صنعت زينب رضوان الله عليها تاريخ البيت كله ، وأثبتت ان المرأة العربية المؤمنة تصنع التاريخ ، وتحمل الرسالة ، وتؤدى دور البطولة الخالقة .

وغدت الطاهرة ، فى القاهرة ، احدى المحجات والصوى التى تنير لاصحاب المثل العليا طريقهم الصاعد الى الايمان والنور .

ان الذين استشهدوا فى كربلاء لم يموتوا ولم يفنوا ، لقد بقوا وخلدوا وصنعوا الحياة والتاريخ ، فالمثل العليا المنتصرة ، انما تقتات بالاستشهاد ، وتحيا بالتضحية والفداء .

لقد مات وذهب الى النسيان من انتصر فى كربلاء ، وعاش خالدا من استشهد فيها والعاقبة أبدا للتقوى .

لقد وهب آل البيت حياتهم لتظل الشعلة مضيئة ، والمثالية قائمة ، وليبقى قلب العالم الاسلامى دائما فى يقظة متوثبة وخفقة حارة مناضلة .

ورضوان الله عليك يا حفيدة نبينا ، وملهمة ايماننا ، وصانعة أضوء وأسمى ما فى دنيانا من نبل وفداء ، ومجد خالد لا يزول .

والى جوار النبيين والصديقين والشهداء اختارها ربها فى مساء يوم الاحد الرابع عشر من رجب عام ٦٢ من الهجرة . وسلام الله على أمامنا الشافعى اذ يقول :

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم ... من لا يصلى عليكم لا صلاة

« طه عبد الباقى سرور »

فقيدة آل علوان

استأثرت رحمة الله بالسيدة الجليلة ، التقية البارة ، حرم سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية .

وأسرة المجلة اذ تشارك عميدها مصابه الفادح الاليم ، واذ تتقدم الى سماحته بأصدق آيات التعزية ، توقن بانه فى عقيدته وعرفانه وتقواه ، أصبر الناس على قضاء الله ، وأجدر الناس بتقبل أمر الله ، بالتسليم والتفويض .

« وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » .

الهم الله سماحته الصبر والرضا بالقضاء ، وأسبغ على الفقيدة الكريمة شآبيب رحمته ورضوانه ، وأسكنها جناته ، وبارك فى أنجالها ورعاهم وسدد خطاهم ، وأنبتهم نباتا حسنا ، وشملهم بلطفه وبره ، وعوضهم فى مصابهم خير ما يعوض المؤمنين الصابرين .

علم النفس والإسلام

للدكتور محمد مظهر سعيد

عميد الفلسفة وعلم النفس والتربية

مقدمة ..

ثلاثون عاما قضيتها في علم النفس ، دارسا ومدرسا ، باحثا ومنقبا ، كاتبا ومؤلفا ، كنت فيها مندمجا في زمرة علماء الغرب ، الذين وضعوا أسس علم النفس الحديث ، متأثرا خطاهم ، ناهجا منهجهم ، ولا على وقد تلقيت عنهم هذا العلم .

وكنت أرجع اليهم ، وأبحث معهم ، وأكتب بلغتهم ، وأنشر نظرياتي الجديدة في مجامعهم ، فيتناولونها في مجلاتهم ومؤلفاتهم ، ويناقشونها في مؤتمراتهم .

ثم شاء حسن الطالع أن تظهر كليات الجامعة الأزهرية سنة ١٩٣٠ وأن أندب لتدريس هذا العلم في كلية أصول الدين في يوم أن فتحت أبوابها لطلاب علوم الدين ، ثم في كلية اللغة العربية وأقسام التخصص . فكان طبيعيا أن أتصل بالثقافة الاسلامية . وأن أحاول ما استطعت أن أقرب بينها وبين هذا العلم الحديث ، وكان هذا توجيها جديدا لي أعده من باب التوفيق . فقد انتهيت منه الى أمرين ، كلاهما جد خطير . أولهما : أن في القرآن الكريم والحديث الشريف وآثار السلف الصالح معينا لا ينضب للدراسات النفسية ، وموردا لا ينفد للحقائق النظرية والطرائق العملية . وثانيهما : أن علم النفس هو أساس دراسة الدين على النحو المثمر المستنير .. وقديما قال ابن مسكويه : « ان معرفة ماهية النفس ، وسبب وجودها وغايتها وقواها .. وما يبلغها كمالها أو يعوقها عنه ، أساس تحصيل الخلق الجميل ، وهذا ماكدوجل زعيم المحدثين الغربيين في علم النفس الاجتماعي يقول : في هذا العصر الذي تشتبك فيه مصالح البشرية وتلتقي لا نجد في مختلف الدراسات والعلوم والفنون شيئا أكبر خطرا ، وأجدر بالدرس من علم الدين والنفس ، فهما أكثر العلوم شبها وأقواها اتصالا ، وفيهما مفتاح

المسائل التى شغلت عقل الانسان منذ أن وجـــد - من أنا وماذا يجب أن أعمل ، وفيما أؤمل ؟ .. فاذا فهم الانسان دينه فى ضوء علم النفس أمكنه أن ينقذ نفسه من الضلال ، وأن يعيد بناء الانسانية التى أوشكت أن تنهار على أساس قوى متين ..

الطبيعة البشرية :

يرى علماء النفس ما رآه أفلاطـون من قبل ، أن كل تصرفات الانسان وأعماله الجسمية والعقلية وانفعالاته وحالاته الوجدانية ترمى الى الوصول لغرض خاص يصلح له .. ويمكنه من الصراع فى معترك الحياة والبقاء ، سواء أشعر بهذا الغرض فى أثناء التصرف أم لم يشعر به .. والله لم يمنح الانسان سائر قواه عبثا ، وانما لحكمة سامية ، قد لا تدركها بصيرته ومن ثم تكون حياته كلها غائية ..

ولما كانت ظروف الحياة البشرية معقدة غاية التعقيد ، وحاجات النـاس متعددة ، ورغباتهم متنوعة ، فان هذه الحياة تقتضى لمواجهتها أن تكون لدى الانسان طائفتان كبيرتان من هذه الاستعدادات ، أولاهما قوى فطـــرية ، الحياة القاسية المعقدة .. والتصرف فى كل موقف بما يناسبه . وهناك لدى الانسان طائفتان كبيرتان من هذه الاستعدادات ، أولاهما قوى فطـرية ، ركبت فى خلقته وطبعه ، وورثها عن نوعه ، كالبحث عن الطعام والهـرب من الخطر ، والدفاع عن النفس والتناسل . وهذه تمتـــاز بأنها عامة عند جميع أفراد النوع الانسانى ، ثابتة أصيلة فى النفس ، لا يتغير جوهـرها بتغير الظروف والاحوال ، وان تغيرت مظاهرها ، لأنها ضرورية لاستمرار الحياة ، ولا يمكن الاستغناء عنها بحال أو الوقوف فى طريقها أو منعها .. وهناك طائفة أخرى يكتسبها الانسان من بيئته التى يعيش فيها ، بالتعليم أو التلقين ، والارشاد والتعليم ، كالتكلم بلغة ما أو الكتابة والرســـم . وهذه تختلف بالضرورة من فرد لآخر ، وقد تتغير عند الفرد الواحد بتغير ظروفه ، فما يكون ضروريا منها فى وقت ما ، قد لا يكون مطلوبا فى وقت آخر ، ولذلك تقوى بالمران وتضعف بالترك .

والانسان فى أول طفولته يتصرف كالحيوان مسوقا بهذه الغرائز الفطرية ولكنه مع هذا مرن قابل للتعلم ، يستفيد من خبرته وتجاربه والظروف التى تمر عليه ، فيستطيع أن يعدل فى سلوكه الغريزى الغشوم العنيف ، ويسمو به ، ويخرج من دائرة الحيوانية الى مستوى الانسانية ذات المثل

العالية والمبادىء السامية ، فى حين يبقى الحيوان على فطرته ، لأن غرائزه ثابتة ، وتصرفاته على نمط واحد .

وفى هذا يقول قطب الدين الشيرازى : للنفوس البدنية شيئان ، فاعلى وغائى . أما السبب الفاعلى فهو أن أول نشأة للنفس هى هذه النشأة الطبيعية والبدنية ، ولها الغلبة على النفوس ما دامت متصلة بالبدن منصرفة عنه . فتجرى عليها أحكام الطبيعة البدنية . وكذا ارادة الله تعلقت بالبدن بايداع الألم والاحساس به فى غرائز الحيوانات ، والخوف فى طباعها ، مما يلحق بذواتها من الآفات العارضة والعاهات الواردة عليها حثا لنفوسها على حفظ أبدانها وكلاءة أجسامها وصيانة هياكلها من الآفات العارضة لها ، اذ أن الأجساد لاشعور لها فى ذاتها ، ولا قدرة لها على جر منفعة أو دفع مضرة . فلو لم يكن الألم والخوف فى نفوسها لتهاونت النفوس بالأجساد وأسلمتها الى المهالك .

ويقول ابن ماجد : الحيوان غير الناطق انما يتقدم فعل ، ما يحدث فى النفس البهيمية من أفعال ، والانسان قد يفعل ذلك ، كما يهرب من تقويم ومثل ما يكسر عودا خدشه ، لانه خدشه فقط ، وهذه وأمثالها أفعال بهيمية فأما من يكسر عودا لئلا يخدش غيره ، أو فى روية توجب كسره فذلك فعل انسانى . فالفعل البهيمى هو الذى يتقدمه فى النفس الانفعال النفسانى فقط ، مثل الغضب أو الخوف وما شاكله — أما من يفعل الفعل لأجل الرأى والصواب ، ولا يلتفت الى ما يحدث فى النفس ففعله بأن يكون الهيا أولى من أن يكون انسانيا .

والانسان بفطرته يدرك المواقف التى تتعرض فيها ذاته أو ملكه أو أولاده وأقاربه للخطر ، من الحيوان المفترس والعدو المفاجىء والنار والظلام والشىء المجهول ، فيخاف ويجرى أو يختفى ، أو يصطنع أية وسيلة للهرب لينجو من هذا الخطر ويبتعد عنه ، وقد أمر الانسان بذلك ، فقال تعالى : « **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** »

ثم هو يغضب ممن يعتدى عليه ويقف فى طريق رغباته أو يعطل له مصلحة ، أو يهاجمه فى شرفه وعرضه ودينه وعقيدته ويقاتله ليبعده أو يقضى عليه ويمحو أثره ، حتى لا يكون فى استمرار بقائه خطر عليه . وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال : « **يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** » . وقال تعالى : « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك الصادقون** . وقال سبحانه : « **ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا**

لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواهم جهنم وبئس المصير » . « **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما** » .

وفى الأحاديث الشريفة : « جاهدوا الكفار بأيديكم وأنفسكم » . و « ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف » . « ضمن الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرجه الا جهاد فى سبيله وايمان به وتصديق لرسله ، أن يدخله الجنة أو يرجعه الى منزله الذى خرج منه ، نائلا ما نال من أجر أو نتيجة » .

ومن طبيعة الانسان أن يخضع لمن هو أقوى منه بدنا أو عقلا ، أو أقدر فنا ، أو أغزر علما ، أو أصلح خلقا ودينا ، ولذلك يخضع لأوامر أبيه وولى أمره أولا ، فأستاذه ومربيه ، ثم رؤسائه وحكامه وأئمة دينه . وقد طلب الله تعالى طاعته وطاعة رسوله ، وسن أصل حياة العباد ونظام المجتمع فى هذه الطاعة فقال : « **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** » . وقال تعالى : فى طاعة الوالدين : « **ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما** » . وقيل فى طاعة العلم : « من علمنى حرفا صرت له عبدا) .

ثم هو ميال بطبعه الى السيطرة على من هو أضعف منه ، والتسلط عليه بالقول والفعل . الى حد الاملاء وفرض الرأى . وفى هذا يقول الامام المراغى « الذى يجعل لنفسه حق التقدم على أحد يجعل لنفسه حق ابداء الرأى والسبق به وحق المخالفة » .

والانسان مولع بالاستطلاع كنف الشىء الغامض وكشف المجهول وتعرف الغريب . ولولا هذه النزعة ما استطاع أن يكتسب الخبرة والمعرفة ويضع النظريات والقوانين ، ويتقدم فى العلم والاختراع ، ولما وصلت الانسانية الى ما وصلت اليه الآن من ثقافة وحضارة .

والقرآن الكريم يحث الناس على التدبر فى آيات الله والتأمل فى خلقه ودراسة الكون وظواهره ، والأمم وتاريخها وأحوالها ، والاستطلاع عند ابن سينا وابن خلدون هو أساس رقى الانسان وتعلمه ، والرازى يقول : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . وابن ماجد يطالب الانسان بأن يتولى تعليم نفسه بنفسه . وقد جعل ابن طفيل بطل قصته المعروفة « حى بن يقظان » يصل بحسه ومشاهدته وتأمله واستطلاعه الى حقائق الكون وفلسفته دون أن يتعلم ذلك من أحد .

والانسان مدنى بطبعه ، ذؤوب على الاتصال بأبناء جنسه ، يجد الأنس

والاطمئنان فى اختلاطه بهم ، والوحشة والقلق فى ابتعاده عنهم ، ويبتغى أمور معاشه وسعادته فى التعاون معهم ويكتسب خبرته وثقافته فى الاحتكاك بهم • والله تعالى يقول : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » •

وحب الصغار الأطفال والحيوان والنبات طبيعى فى نفوس الآباء مما تضرب به الأمثال • وقد روى الميدانى : « ان رجلا تزوج امرأة وله أم عجوز •• فقالت الزوجة للرجل ـ لا أنا ولا أنت حتى تخرج هذه العجوز هنا • فلما أكثرت عليه احتملها على عنقه ليلا حتى أتى واديا كثير السباع فرمى بها ، ثم تنكر لها فمر بها وهى تبكى ، فقال ـ ما يبكيك يا عجوز ؟ قالت ـ طرحنى ابنى ها هنا وذهب وأنا أخاف أن يفترسه الأسد • فقال لها ـ تبكين له وقد فعل بك ما فعل ، هلا تدعين عليه • قالت وأرسلته مثلا ـ تأبى له ذلك نبات البنى ـ أى عروق قلبى » •

والانسان ينفر بطبعه من المناظر والطعوم والروائح الكريهة ويتقزز لرؤيتها ويشمئز منها ، فيندفع للابتعاد عنها ونبذها ، وفى الحديث : فر من المجذوم فرارك من الأسد •

والشهوة التى تصاحب الغريزة الجنسية من أقوى الدوافع التى تتملك قياد الانسان ، فاذا جمحت به دفعته الى التهلكة ، واذا استعان عليها بالصلاة والصوم والرياضة والتأمل والتصوف فقد نجا • والله تعالى يقول : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة** » •

هذه وغيرها من أنواع السلوك الغريزى هى الأساس الذى تقوم عليه وبه حياة الانسان الفطرية ، وبغيرها لا يمكن بقاء النوع مفضلا على رقية وتطوره وتمدينه •

ولو تعمق الانسان فى دراسة آثار الغرائز ، ونظر الى ما هو أبعد وأعمق من المواقف الغريزية الطارئة والتصرفات المؤقتة ، لوجد لكل غريزة أثرا هاما فى سلوك الفرد والجماعة • فالخوف المعقول أساس الدين والتقاليد والتشريع والقانون والنظم الاجتماعية والاقتصادية • والغضب الطبيعى أساس الكرامة والوطنية والدفاع عن المبادىء السامية • والسيطرة والخضوع أساس الحكم والطاعة والاحترام • والنفور من الشىء الكريه أساس الذوق السليم والفنون الجميلة والتقدم فى أساليب المعيشة • والاستطلاع أساس العلم والمعرفة • فهى من هذه الناحية مصدر خير للفرد والجماعة • ولكنها قد

تتطرف لظروف طارئة ، أو للجهل وفساد التربية ، وعشرة السوء ، فتخرج عن حدها الطبيعي وتنقلب شرا على الفرد المتطرف ذاته وبالتالى على الجماعة. فالسيطرة طبيعية لمن تتوافر فيه القوة أو العلم أو أية ناحية أخـــرى من نواحى شخصيته التى يمتاز بها عن غيره ، ولكن تطرفها يجعلها ستبدادا ممقوتا أو غرروا مرذولا . وفى ذلك يقول الله تعالى : « **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير حق** » . « **كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار** » . « **لقـد استكبروا فى أنفسهم وعتـوا عتوا كبيرا** » وفى الأحاديث الشريفة : « لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة من كبرياء » و « ثلاث مهلكات ـ شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه » و « لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » .

والقتال طبيعى ولكن من الشر أن يقاتل الانسان من لم يعتدى عليه . وقد أقر المشرع الشريف مبدأ : « **العين بالعين والسن بالسن** » والشر بالشـــر والبادى أظلم » . ومع هذا أشار بالعفو عند المقدرة وكظم الغيظ والعفو عن المسىء . فقال تعـــالى « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروا وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين** » . وقال : « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ألا بالحق . ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون** » .

ونهى الدين كذلك عن التحرش بالناس بدون سبب ، وقتـــال المسلمين بعضهم لبعض . فالمؤمنون « **أشداء على الكفار رحماء بينهم** » . وفى الحديث الشريف : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

والاستطلاع اذا تطرف صار تجسسا ممقوتا على الناس ، وكشفا لما يجب أن يستر من أموالهم وأمورهم . قال الرسول الكريم : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه ، لا تتبعوا عورات المسلمين ، فان من تتبع عورات المسلمين فضحه الله فى قعربيته » . وقال عليه الســـلام لمعاوية : « انك ان تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » . وقال أبو بكر رضى الله عنه : « لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى لما أخذته ولا دعوت اليه أحدا حتى يكون معى غيرى » .

(يتبع) (محمد مظهر سعيد)

* * *

صفحات ونفحات

من الحب النبوى

بقلم : الدكتور محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

حبان تمكنا من نفوس أصحاب النفوس الزكية ، وتقسما قلوب أرباب القلوب النقية ، وأنطقا ألسنة أهل الاذواق الروحية من الصوفية بروائع من النظم ، وبدائع من النثر ، حتى ان الواحد من أولئك أو هؤلاء لا يكاد ينفك عنه أحد هذين الحبين أو كلاهما فيما يصدر عنه من أقوال وأحوال وأفعال ، وفيما يتأثر به أو يتأمل فيه من مشاهد الكون وحقائق الوجود وأحد هذين الحبين هو الحب الالهى الذى يتخذ المحب فيه موضوع حبه من الذات الالهية أو الحقيقة العلية ، وثانيهما هو الحب النبوى الذى يتخذ فيه المحب موضوع حبه من الرسول عليه الصلاة والسلام أومن الذات النبوية والحقيقة المحمدية .

ومن الصوفية من جمع بين هذين الحبين فى نظمه ونثره ، فكانت آثاره مرآة يتجلى على صفحتها حبه الالهى من ناحية ، وحبه النبوى من ناحية أخرى . ومنهم من تخصص فى نظمه ونثره ، أو فيما أثر عنه من نظم أو نثر ، بأحد هذين الحبين دون الآخر ، فكان فيما خلف من آثار هاتفا بأناشيد الحب الالهى ، أو شاديا بتغاريد الحب النبوى ، أو متحدثا بلسان الذوق حديثا مرسلا عن هذا الحب النبوى أو ذاك الحب الالهى .

والذين ملك عليهم قلوبهم هذا الحب أو ذاك ، قد اصطنعوا فيما خلفوا من آثار ـ لاسيما ما كان من هذه الآثار نظما ـ أسلوبين مختلفين فى التعبير عما يجدون فى أنفسهم من فعل الحب ، وما يصورونه من انفعالات وعواطف ، وما يتحدثون عنه من حقائق ومعارف : فهم يصطنعون تارة أسلوب العبارة والتصريح . بحيث يتبين فى وضوح وجلاء أن الحب ها هنا حب الهى أو حب نبوى ، وأن المحبوب الذى يتغنون حبه ويفتنون فى وصف جماله وكماله وجلاله انما هو الذات الالهية أو الحقيقة العلية ، أو هو الحقيقة المحمدية وباطن الحضرة النبوية ، أو هو محمد النبى المرسل لكافة الأنام عليه الصلاة والسلام ، وهم يصطنعون تارة أخرى أسلوب الاشارة والتلويح بحيث يخفى على القارىء العادى المعنى الذى تنطوى عليه ألفاظهم ، وبحيث يختلط الامر على هذا القارىء العادى فلا يكاد يتبين منهو المحبوب المتحدث عنه ها هنا أهو الله عز وجل ، أو هو الحقيقة المحمدية ، أو هو محمد النبى عليه الصلاة والسلام . ومما يزيد الأمر خفاء فى هذا الضرب من الاسلوب مايصطنعه فيه أصحابه من رموز وكنايات،ومجازات واستعارات ، وجلها ان لم يكن كلها مستمد من معجم الالفاظ الدالة على مخلوقات انسانية ، وموجودات حسية ، بصفة عامة أو مستقى من معجم

الألفاظ الشائعة فى كل من الشعر الغزلى والشعر الخمرى بصفة خاصة: فالحب والمحب والمحبوب والمحبوبة ، وما يتصل بهذا كله من أسماء المحبوبات كليلى وسلمى وعزة وبثينة ، ومن تباريح الحب وأحوال المحبين كالأسى والشجو والشجن ، وكالضنى والنحول والحزن ، وكالبكاء والنواح والسقم ، وكالقرب والبعد ، والوصل والصد ، وما الى ذلك من الألفاظ الغزلية الكثيرة التى حفل بها شعر العذريين من أصحاب الحب الروحى من ناحية وشعر المحققين من أرباب الحب الحسى من ناحية أخرى ، والخمر أو المدامة ، وما يتصل بها من حان وألحان ، ومن طاس وكأس ، ومن مجالس شراب وندمان ، ومن سكر ونشوة ودنان ، وغير ذلك من الألفاظ التى تتردد عادة فى الشعر الذى يتخذ موضوعه من الخمر المادية ، كل أولئك نجده منبثا هنا وهناك فيما خلف شعراء الصوفية من روائع فى الحب الالهى والمدح النبوى ، حتى لقد يخيل للبعض ممن لم تصف قلوبهم بعد من شهوات النفس ونزوات الحس أن أحد هذين اللونين من الشعر وهو الغزلى قد نظم فى حب معشوقة آدمية ، وأن اللون الآخر وهو الخمرى قد نظم فى وصف الخمرة المادية ومن هنا ذهب فريق من المتعصبين على التصوف والصوفية والمتعسفين فى فهم الأذواق والمواجيد الروحية وغير أولئك وهؤلاء ممن لا يستطيعون التسامى بمداركهم عن عالم الحس ، الى الارجاف بالصوفية ، والنعى عليهم والغض من القيم الروحية للمعانى الخفية التى تنطوى عليها الألفاظ والعبارات الغزلية والخمرية الشائعة فى الشعر الصوفى الرمزى ، سواء ما كان من هذا الشعر نسبيا الهيا أو تشبيبا نبويا . فأما أن هذه الألفاظ والعبارات الغزلية والخمريه رموز واشارات ، وكنايات ومجازات ، فذلك مالاتفهمه عقول المتعصبين ولا تسيغه أذواق المتعسفين ، ولا تقبله مدارك الغارقين فى بحار المادية والمغرقين فى ظلمات الحياة الحسية ، والمحجوبين عن ادراك الأنوار القدسية ، ومعاينة الحقائق العلوية التى ينطوى عليها ظاهر الالفاظ اللغوية .

ولست أحب أن أقف هنا عند تفاصيل الخلافات القديمة والحديثة التى وقعت بين أهل الظاهر من الفقهاء وبين أهل الباطن من الصوفية ، حول الآثار الروحية التى عبر فيها أصحابها عن أذواقهم ومواجيدهم فى حبهم الالهى أو حبهم النبوى ، تعبيرا اصطنعوا فيه أسلوب الرمز بألفاظ غزلية وخمرية ، فان ذلك حديث طويل قد أعرض له فى غير هذا الموضع من هذه الصفحات والنفحات ، ولكن حسبى أن أشير فى هذا المقام اشارة موجزة الى أشواق محيى الدين بن عربى وأذواقه فى حبه للذات الالهية تارة وللحقيقة المحمدية تارة أخرى ، وذلك فيما أودعه من أسرار هذا الحب أو ذاك ، ديوانه المعروف باسم (الذخائر والأعلاق من شرح ترجمان الأشواق) : فقد تحدث الشيخ الأكبر فى ديوانه هذا عن حبه وشوقه ، وعن وجده وذوقه ، وعما لقيه فى سبيل هذا الحب من أهوال وما تقلب عليه من أحوال ، وما كان يجد من عذاب ومحنة حينا ، ومن راحة ومنحة حينا آخر ، وكان حديثه فى هذا كله بلسان الغزل والتشبيب وذلك فضلا عما يذكره فى مقدمة ديوانه وما يضمنه بعض ابياته من حديث عن غادة هيفاء ، وغانية حسناء ، يقول انه عرفها بمكة فأحبها ، وافتتن

بحبها ، وافتن فى وصف جمالها وكمالها وجلالها ، وجعل من حبه هـذا الانسانى ، سبيلا الى حبه الالهى ، وأخذ ينزل أوصاف محبوبته الانسانية هذه على الذات الالهية وما يتصل بها من أسرار قدسية وأنوار محمدية ولقد كان هذا المسلك من مسالك التعبير الذى سلكه محيى الدين بن عربى فى ترجمان أشواقه ، مثارا لطعن الطاعنين وتشنيع المشنعين ، وانكار كل من العامة ورجال الدين ، أن يكون وراء ألفاظ هذا الديوان معان خفية أو حقائق الهية أو دقائق تجل عن الفهم وتدق على الوهم كما يزعم صاحبها . ومن هنا لم يجد ابن عربى بدا من أن يمحو ظلمة الشك بنور اليقين ، وأن يزيل ما علق بأفهام العامة ورجال الدين ، فاذا هو يضع بنفسه شرحا لديوانه يبين فيه أغراضه ومراميه ، ويكشف عما خفى على القاصرين من حقائقه ومعانيه ، واذا هو يقول فى شرحه ان هنا حبا الهيا المحبوب فيه هو الذات العلية ، وان هناك حبا نبويا المحبوب فيه هو الحضرة النبوية أو الحقيقة المحمدية

على أن البعض قد يتساءل ـ لم لم يعبر الصوفية كلهم تعبيرا صريحا عن حبهم الالهى ، ومدحهم للحقيقة المحمدية وللنبى فيكفون الناس مؤونة سوء الفهم ، أو سوء الظن ، والقاء الشكوك والشبهات ، ويكفون أنفسهم مؤونة الشرح والتأويل أو التعرض لثورة العامة بهم ، وتشديد رجال الدين فى النكير عليهم ؟ وعلى هذا يجيب الصوفية من أصحاب الرموز والاشارات ، وأرباب المجازات والكنايات بأنهم يؤثرون فى وصف أحوالهم فى الحب الالهى والنبوى ، الاشارة على العبارة والتلويح على التصريح ، وذلك اخفاء للحقائق التى تتجلى لبصائرهم وكتمانا للأسرار التى تتكشف لسرائرهم ، وضنا بهذه الاسرار ، وغيرة على تلك الحقائق من أن تشيع فى غير أهلها ، يقف عليها من ليس أهلا لها .

والذى أحب أن أخلص اليه من كل ما قدمت هو أن للصوفية فى أذواقهم ومواجيدهم حبين ، أحدهما حب الهى ، والآخر حب نبوى ، وأن نلاحظ أن المتحدثين منهم عن أحد هذين الحبين أو كليهما حديثا صريحا جليا ، أو حديثا رمزيا خفيا ، انما كانوا يصدرون أولا عن قلوب العاشقين الذائقين ، وأرواح المشوقين التائقين وذلك فيما صدر عنهم من آثار تعد بحق صورة صادقة لما فاضت به قلوبهم وارواحهم من نفحات الحب الالهى والحب النبوى ، وأنهم بحكم ما خضعوا له من رياضات ومجاهدات ، وما تقلبوا فيه من أحوال ومقامات ، وما ملك عليهم بوآطن قلوبهم من أذواق ومواجيد ، انما كانوا يطلقون أنفسهم على سجيتها ، وينطلقون مع حبهم لله عز وجل ، ومدحهم لرسول الله أو وصفهم لحقيقته صلى الله عليه وسلم ، دون أن يعمدوا فى هذا كله أو بعضه الى تكلف أو تعسف أو تصرف ، ولكنها الفطرة الصافية المشرقة ، والعاطفة النقية الصادقة ،

هى التى رسخت فيهم ، وتمكنت منهم . فأنطقتهم بما نقرأ لهم من صفحات وأفاضت عليهم ما نستشعره فى نظمهم ونثرهم من نفحات ، واذا بهذا كله يتمثل لنا أبياتا من النظم وعبارات من النثر ، ولكنها فى الحقيقة لآلىء منظومة ودرر منثورة ، يشع بعضها أنوارا من الحب الالهى ، ويشع بعضها الآخر أنوارا من الحب النبوى .

على أن هذا الذى كان فطرة وسجية عند الصوفية فى أول الأمر ، وظل كذلك عند فريق من المحققين المتحققين الى اليوم ، قد استحال على ايدى بعض أهل الأدب من الناظمين والناثرين الى لون من الوان الفن ، وضرب من ضروب الصناعة ، بحيث ترى الواحد منهم يذكر الله ويصف حبه والفناء فيه ، ويمدح النبى ويتغنى أوصاف ذاته وحقيقته ، ويعدد مناقبه ومآثره ، دون أن يكون لقلبه وروحه مشاركة من قريب أو من بعيد ، لانه لا يصدر كما يصدر المحققون المتحققون عن أذواق ومواجيد

واذا كان ذلك كذلك ، وكنت قد قدمت بين يديك فيما تقدم من هذه الصفحات والنفحات ، أطرافا من الحديث عن الحياة الروحية المحمدية ، وعن ظاهر الحقيقة المحمدية وباطنها ، وعما تنطوى عليه نبوة خاتم الانبياء من أرق المعانى الروحية ، وأدق الحقائق العلوية ، فقد رأيت أن خير ما أعقب به على صفحات الحياة الروحية المحمدية ونفحات الحقيقة النبوية ، هو أن أقف معك وقفات عند ذلك الحب النبوى الذى أثارته هذه المعانى الروحية فى قلوب العاشقين للحضرة النبوية الذائقين للحقيقة المحمدية ، وذلك بأن أعرض فى المقال التالى لتحليل بعض ما خلفه هؤلاء العاشقون الذائقون من صفحات ، وللابانة عما تفيض به قلوب أصحابها من نفحات ..

محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

أوربا والاسلام

اللورد هيدلى

للدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

أما اللورد هيدلى ، فقد كان لاسلامه ضجة كبيرة : لمركزه ، ولما يعلمه فيه عارفوه : من نضج فى التفكير ، وترو فى الامور ، وحينمـــا أراد الحج مر بالاسكندرية ، فأقام له أهالى الثغر حفلة كبرى ، وضعت تحت رعاية الامير السابق : عمر الطوسونى ، الذى ألقى كلمة حيا فيها الضـــيف الكريم ، ابتدأها بقوله :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ، لقد خفت مصر الى اســتقبالكم ، وابتهجت بمقدمكم الكريم ، أويكون لكم متسع سرورها بذلك عظيما ، حتى لقد تمنت كل مدينة أن تسعى بأهلها اليكم ، أو يكون لكم متسع من الوقت بزيارتها ، فتقوم بما يجب لكم من الاجلال والاعظام ، والترحيب والاكرام ·

وكانت الحفلة برئاسة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الغنى محمود شيخ علماء الاسكندرية ·

وممن خطبوا فيها : فضيلة الشيخ أمين سرور ، فقال فى قصيدة طويلة مخاطبا اللورد هيدلى :

عرفت طريـق الحـق بعـــد اختبـــاره
فأوردت عن عقـل وأصـدرت عن فضـل

فمـــا أنس لا أنس انطـــلاقك واحـــدا
الى الشرق قبلـو كل دين وتســـــتجلى

فأرســـلت فى الأديـان نظـــرة ناقـد
يرود مكـــان الحـــق بالأعـين النجـــل

وكان كمـــال الـدين أكبـــر ســـاعد
يعـين عـــلى حق وينطـق عن فضـــل

فأبصرت دينـــا ماحيـــا كل مدنيـــة
كما نسخت شـمس الضـحى آية الليـل

فأســـلمت للـــرحمن تبغى ثـوابه
ولم تخش أنصـــار السـفاهة والجهـــل

ففـــاهو بمـــا فاهـــوا ، ولاموا وعنفـــوا
ولـكن ســـيف الحـق أمضى من العـذل

وجادلت بالحســـنى فلمـــا حججتهـم
تـولوا كأسراب القطـــاريع بالنبـــل

وتوالى الخطباء مشيدين بفضله .

كيف أسلم اللورد هيـــدلى ؟! ماهى العـــوامل التى دعته الى اعتنـاق الاسلام ؟! .

اننا فى الصفحات التالية سنذكر جملة من النصـــوص ترشد القارىء الى سبب رفضه المسيحية والى سبب اســـلامه ، والى تصويره لكثير من وجهات النظر الاسلامية .

ويقول :

« عندما كنت أقضى ـ أنا نفسى ـ الزمن الطويل من حياتى الاولى فى جو المسيحية ، كنت أشعر دائما أن الـدين الاســـلامى : به الحســـن ، والسهولة ، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت !!! ..

وثبتنى فى هذا الاعتقاد : زيارتى للشرق التى أعقبت ذلك ، ودراستى للقرآن المجيد . »

له الله لكم تألم وقاسى فى سبيل وصوله الى الحق :

اسمع اليه يقول :

« فكرت وصليت أربعين سنة ، كى أصل الى حل صحيح » .

ويجب على أن أعترف أيضا أن زيارتى للشرق ملأتنى احتراما عظيمـا للدين المحمدى السلس الذى يجعل الانســان يعبد الله حقيقة طول مـــدة الحياة ، لا فى أيام الآحاد فقط .

ويرى أن الاسلام هو الدين العالمى حقا .

« أيمكن اذن ، أن يوجد دين يمكن العالم الانسانى من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقى ، الذى هو فوق الجميع وامام الجميع ، بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك ؟ .. »

فكر لحظة ـ وذلك تفكير لازم لكمال البشر فى الحقيقة ـ انه اذا أصبح كل فرد فى الامبراطورية الانكليزية محمدياحقيقيا بقلبه وروحه لأصبحت ادارة الاحكام أسهل من ذلك ، لأن الناس سيقادون بدين حقيقى .

وها هو ذا يعبر عن الشكر حينما هداه الله

« روح : الشكر هى خلاصة الدين الاسلامى ، والابتهال أصل فى طلب القيادة والارشاد من الله .

انه وان كان شكرى لله على كرمه وعنايته ، كان متأصلا فى ، من صغرى وايام حداثتى الاأننى لا أستطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة

الماضية ، التى قرع فيها الدين الاسلامى لبى حقا ، وتملك رشدى صدقا ، وأقنعنى نقاؤه ، وأصبح حقيقة راسخة فى عقلى وفؤادى ، اذ التقيت بسعادة وطمأنينة ، ما رأيتهما قط من قبل كما استنشق هواء البحر الخالص النقى ، وبتحققى من سلاسة وضياء وعظمة الاسلام ومجده ، أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم الى فسيح من الارض تضيئه شمس النهار .

ومما يذكر من تعاليم الاسلام مشيدا به :

« ليس هناك فى الاسلام الا اله واحد نعبده ونتبعه ، انه امام الجميع ، وفوق الجميع ، وليس هناك قدوس آخر نشركه معه ، انه لمن المدهش حقا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والالباب على هذا القدر من الغباوة ، فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء ورؤية أبيهم القهار المتصل دواما بكل مخلوقاته ، سواء كانوا عاديين أو أولياء مقدسين .

مفتاح السماء موجود دائما فى مكانه ، ويمكن ادارته بأذل وأقل المخلوقات دون أية مساعدة من نبى أو كاهن أو ملك ، انه كالهواء الذى نستنشقه مجانا لكل خلق الله .

أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك ، ما دعاهم الى هذا العمل الا حب الفائدة .

ليس غرضى الرئيسى أن أهاجم أى فرع معين من فروع الديانة المسيحية ، لأبين جلال وسلاسة الديانة الاسلامية ، التى هى خالية فى نظر الكاتب المنصف من العوائق الظاهرة جليا فى كثير من الديانات الاخرى .. »

ولقد افترى خلق كثير على الاسلام وها هو ذا يرد على افتراءاتهم .

« ليس فى وسع الانسان ، فى الحقيقة ، الا أن يعتقد أن مدبجى وناسجى هذه الافتراءات ، لم يتعلموا ، حتى ولا أول مبادىء دينهم ، والا لما استطاعوا أن ينشروا فى جميع أنحاء العالم ، تقارير معروف لديهم أنها محض كذب واختلاق .

ان تعاليم القرآن الكريم : قد نفذت ومورست فى حياة محمد الذى - سواء فى أيام تحمله الألم والاضطهاد ، أو فى زمن انتصاره ونجاحه - أظهر أشرف الصفات الخلقية التى لايتسنى لمخلوق آخر اظهارها .

فكل صفات الصبر والثبات فى عصره كانت ترى أثناء الثلاثة عشرة سنة التى تألها فى مجاهداته الاولى بمكة ، ولم يشعر فى كل زمن هذا الجهاد بأى تزعزع فى ثقته بالله ، وأتم كل واجباته بشمم وحمية .

كان ؟ صلى الله عليه وسلم ، مثابرا ، ولا يخشى أعداءه ، لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله ، ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه .

وقد أثارت تلك الشجاعة التى لا تعرف الجفول - تلك الشجاعة التى كانت حقا احدى مميزاته وأوصافه العظيمة - اعجاب واحترام الكافرين ، وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله .. ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرنا ، وازداد اعجابنا به بعد ذلك فى حياته الاخيرة ، أيام انتصاره بالمدينة ، عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام ، واستطاعته الاخذ بالثأر ولم يفعل ، بل عفا عن كل أعدائه .

العفو والاحسان والشجاعة ، ومثل هاتيك الصفات ، كانت ترى منه فى كل تلك المدة ، حتى وان عددا عظيما من الكافرين اهتدوا الى الاسلام عند رؤية ذلك .

عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعذبوه ، آوى اليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة ، وأغنى فقراءهم وعفا عن ألد أعدائه ، عندما كانت حياتهم فى قبضة يده وتحت رحمته !!! ..

تلك الاخلاق الربانية التى أظهرها النبى الكريم : أقنعت العرب بأن حائزها يجب أن لايكون الا من عند الله ، وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقا ، وكراهيتهم المتأصلة فى نفوسهم : حولتها تلك الاخلاق الشريفة الى محبة وصداقة متينة !! ..

محمد المثل الكامل ..

« نحن نعتبر أن نبى بلاد العرب الكريم ، ذو أخلاق متينة ، وشخصية حقيقية ، وزنت واختبرت فى كل خطوة من خطى حياته ، ولم ير فيها أقل نقص أبدا .

وبما أننا فى احتياج الى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة فحياة النبى المقدس تسد تلك الحاجة .

حياة محمد : كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقى ، والسخاء والكرم ، والشجاعة والاقدام ، والصبر والحلم ، والوداعة والعفو ، وباقى الاخلاق الجوهرية التى تكون الانسانية .

ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة ، خذ أى وجه من وجوه الآداب وأنت تتأكد بأنك تجده موضحا فى احدى حوادث حياته .

ومحمد وصل الى أعظم قوة ، وأتى اليه مقاوموه ووجدوا منه شفقة لاتجارى ، وكان ذلك سببا فى هدايتهم ونقائهم فى الحياة !!! ..

رحم الله اللورد هيدلى وجزاه عن الاسلام خير الجزاء ..

« **عبد الحليم محمود** »

* * *

الظـــلم

(للدكتور مصطفى كمال وصفى)
المستشار المساعد بمجلس الدولة

شهد الله على الناس بقوله « **ان الانسان لظلوم كفار** »

فالظلم طبيعة فى الانسان ·

ومافتىء الناس منذ بدء الخليقة يظلمون أنفسهم ، ويظلمون بعضهم بعضا ، وما انفكوا عن ذلك يتقاتلون ويتصارعون ـ الا من رحم ربه ـ وتستبد بهم الأهواء والأطماع فينسون الحق ـ سبحانه وتعالى ـ ويظلمون ·

واذا صح قول كثير من علماء الصوفية ـ عن تحقيق ـ بأن الله خلق الناس ليشهد مجالى حسنه ، وأمدهم بروح من أمره ، وألبسهم من صفات ذاته ، فمن أين لهم بالظلم وكيف اكتسوا هذه الطباع المظلمة القاتمة وفارت نفوسهم بالأثم والعدوان ؟ ·

كان هذا القول مشكلا عند كثير من الناس · وكذبوا به ماقاله الصوفية فى هذا الشأن · لأن الله ليس بظلام للعبيد وأنه قد حرم الظلم على نفسه · ولذلك نفوا هذه الصلة الربانية بين الله والناس مادامو هؤلاء ظلمة بطبعهم ·

وكان ذلك أيضا مدعاة لكثير من التصور المشوه فى شئون العقائد · وبرز ذلك فى بعض الأديان القديمة بالقول بأن ثمة الاهين أحدهما للخير والآخر للشر ، أو الى القول بأن ثمة عالم نورانى خلقت منه الطبائع الطيبة ، وآخر مظلم خلقت منه الطبائع الشريرة · وأن مستقر هذه الاخيرة هو ذلك العالم المظلم وهو الجحيم ·

ولكن لاشك أن ذلك كله مفارق للوحدانية التى هى أساس الاسلام · ولاشك أيضا أنه لا اشكال فى الأمر بل حله فى منتهى البساطة والسهولة

فالواقع أن الله سبحانه وتعالى هو الجامع للمثل العليا كلها · ومن ضمن كمالاته سبحانه وتعالى ماهو مضاد لبعضهم لأن الكمال لايكون الا بالجمع بين النقائض · فهو النافع الضار الحى المميت المعز المذل · فاذا جمع سبحانه وتعالى الى جانب صفات رحمته ورأفته وكرمه وجماله ، صفات أخرى من قهره وجبره وعزته وكبريائه وجلاله ، لاقت به هذه الكبرياء وهذا الجلال ولم يكن بها ظالما ، ولاق أن يكون كذلك مع جميل فعاله وكمال تصرفه ·

أما الانسان ، فاذا اتصف بالكبر والقهر والجبر ، على عجزه وسوء فعاله ونقصه ، فانه يكون بذلك ظالما .

ومن هنا جاءت صفة الظلم فى بنى البشر . اذ أن العجب والكبر والقهر من أقبح الصفات اذا بدرت عن ناقص جاهل سىء العمل . بينما هى غاية الجمال والرونق اذا بدت من ذى الجلال والاكرام رفيع الدرجات المتكامل بذاته المتعال .

* * *

فالظلم لايعتبر صفة فى ذاته ، ولكنه نتيجة لعدم التناسب فى الصفات ومرجعه فى الانسان الى تطاوله وتعاليه بغير استحقاق لذلك ، ومع ماهو عليه من سوء الفعال وقبح العمل .

ولامفر اذن من أن يكون الانسان ناقصا فى صفاته فشتان بينه وبين الكمال المطلق المجرد ، ولاسبيل له الا بلوغ درجات فى مدارج الكمال الانسانى فحسب ، ولذلك فمن المحتم عليه أن يكون غير كامل الفعال .

فالانسان بطبيعته مقيد بحاجاته الدنيوية التى يألم اذا لم يشبعها ولابد له من الجوع والتعب والمرض وغير ذلك بسبب طبيعة تركيبه . وهو اذا استبدت به احدى هذه النوازع صرخت فى نفسه حيوانية عارمة ، يعمى بها عن كل شىء ، ويغدو مضطرا لتسكين هذه النازعة بأى شكل ، ولو اغتصب لقمة أخيه أو قتله . فهو بطبيعته مقهور بحاجاته . ولو كان غنيا ، لكان حميدا فى فعاله وللاق به أن يكون قاهرا متكبرا .

ويستطيع الانسان أن يكبح جماح أطماعه وشهواته لحد كبير بالترويض والسلوك . وعند ذلك يستطيع أن يكون أحسن فعالا وأبعد عن الظلم ، ولو أن ذلك من أشق الشعور على نفسه ، وحق وصفه بأنه الجهاد الاكبر كما قال رسول الله صلى عليه وسلم . فشأنه كفطام السبع عن الدماء واللحوم والزامه أكل الأعشاب والنبات .

ولكى يوصف العمل بأنه بعيد عن الظلم ، وبأنه عمل صالح ، وجب أن يكون مستقيم الهدف اذا قصد الانسان به ايثار نفسه على غيره بلا حق ، واعلاء نفسه وارضاء شهواته وأطماعه .

فمثل هذا العمل عدوان على الغير . وان لم يكن كذلك فهو ظلم للنفس من باب أنه يقوى حيوانيتها ويروضها على أسباب الثورة الحيوانية والانطلاق بعد ذلك فى طريق الاغتيال والافتئات .

فالمفرط فى الطعام أو الشراب ظالم لنفسه . وان لم يظلم غيره مباشرة . والمنهمك فى ملاذه المنطلق ورائها كذلك . لأنه يمهد لنفسه سبل الظلام

والاسفاف . وكذلك الحقير الذليل للناس والمتبطل الكسول والقاعد عن الصالح .

كل أولئك يظلمون أنفسهم لما يعرضهم للحقد والحسد والبغضاء . فضلا عن انهم يعتدون على الصالح العام كمجموعة ، بالاضعاف من عناصره وموارده وباسقاط أنفسهم من المنتجين فيه .

أما الهدف الذى لابد أن يرعاه الانسان فى عمله ولا يكون ظالما ، فهو قصد وجه الله وحده فى العمل . لقوله تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** . »

وما دون هذا الهدف شرك . ولذلك قال الله تعالى فى محكم آياته ، « **ان الشرك لظلم عظيم** » .

فهذا الهدف الأسمى الأعلى ، هو جماع جميع المصالح . وقسمة عادلة بين المصالح المتباينة التى تعج بها الحياة . فاذا كان الأمر لله حقق فى الوقت ذاته كافة ما دونه من مصالح . فيكون فى مصلحة الفاعل نفسه ، وتوازن دقيق بين المصالح المتجاذبة آلتى تحيط بالموضوع .

والسبب فى ذلك هو أن الله هو المثل الأعلى . فيندرج تحته ماهو فى صالح النفس وصالح الأهل وصالح الوطن وصالح الانسانية . أما اذا استهدف الانسان صالحا أدنى ، فان عمله لايكون جامعا لرعاية مختلف الاهداف ، عادلا بين جميع المصالح . فاذا كان هدف الانسان من عمله ، نفسه دون غيرها . جاز له فى ذلك أن يضر بغيره كاهله وولده وسائر الناس ولا يبالى . وهذا ظلم وسوء فعل . فاذا اعتلى بهدفه عن نفسه ولم يجاوزه الا لذويه الاقربين ، جاز له أن يضر سائر مواطنيه وغيرهم من الناس . واذا اعتلى بهدفه الى حد قصد الوطن فحسب ، جاز له أن يضر سائر الناس ولو كانوا من أهله وعشيرته ، الا أنهم على جنسية غير وطنه . واذا ارتفع الى حد رعاية الانسانية كلها جاز أن يضر بسائر الموجودات من غير الناس . واذا راعى الله فى أفعاله راعى جميع ما عداه وحقق جميع المصالح فى الوقت نفسه . فلا يكون ظالما .

ولا شأن للانسان ، فى قصده وجه الله فى عمله ، الا أن ينفذ ما أمره به وأن يمتنع عما نهى عنه ، وذلك ثقة منه بأحكام الله وأنابه منه اليه ، وأن ماأمر الله به هو الخير المطلق لأن « لله المثل الأعلى » .

حتى ولو كان ذلك ظاهره العدوان على الغير . فما دام لوجه الله امتنع أن يكون ظلما .

فالقاضى الذى يحكم باعدام القاتل ليس ظالما ولو سلب المحكوم عليه حياته . وهو ليس متجردا من الرحمة ، مادام قد تحرى الاسباب وأتى ذلك على علم . فالله عز وعلا قد وصف الخضر بأنه رحمة وعلمه من لدنه

علما ، ومع ذلك لم تمنعه هذه الرحمة من أن يخرق السفينة ويقتل الغلام .

وكذلك المجاهد فى سبيل الله بالقتال . فهو لايكون بذلك ظالما بالنظر هدفه ونتيجة عمله . وقد غرس فى النفوس حب القتال والحرب لقوله تعالى (« **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو** ») وقوله : « **كتب عليكم القتال** » . فكان لابد من أن يأمر بألا نستنفذ هذه الطاقة القاهرة فى النفس البشرية الالوجهه ولصالحه الذى هو مناط الصوالح جميعها ومعيار تحقيقها على تباينها . ولو لم يستنفد الانسان هذه الطاقة المحتومة فى سبيل الله لأستنفدها فى سبيل آخر ، كما هو الحال فى المصطرعين على الاستعمار ونشر النفوذ وغيره مما اتصفت به حروب المسلمين .

ومن قبيل حسن الفعل ، الذى يخلصه من طابع الظلم ، مناسبته لظروفه ، وملائمته ولياقته للحال التى صدر فيها لقوله عليه الصلاة والسلام « المؤمن كيس فطن » أو كما قال . فلا يجوز للقادر الغنى أن يماطل مدينه ويؤجل الدفع بلا مبرر لقول الرسول صلوات الله عليه مطل الغنى أو القادر ظلم (أو كما قال » ولا أن يرهق الدائن مدينه المعسر بالمطالبة لقوله تعالى « **وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة** » كما لا يجوز أن يزيد الشخص تكاليف المكدود أو المتعب أو المحرج دون شعور بحالته بل يجب على المؤمن أن يكون رقيق الشعور حسن الادراك . والا يكون أنانيا بليد الحس فاقد الذوق . فذلك كله ظلم وان كان دقيقا خفيا .

ومن أمثلة الظلم الخفى أيضا أن يصدر الفعل عن الانسان قاصداً به وجه الله ، ولكنه ينحرف عن الغرض الذى يريده الله خاصة ، الى غرض آخر لايرتبط بهذا العمل . فمثلا لايجوز للوالد أن يحرم عياله من رزقهم ليتصدق به على الناس لقوله عليه الصلاة والسلام لاتقبل صدقة المرء وأهله محاويج أو كما قال . فان حقيقة ذلك هو الرياء أو الشهوة الخفية كما قال امامنا الشيخ ابن عطاء الله السكندرى قدس الله سره .

وكذلك لايجوز للشخص أن يهمل عمله الذى أقامه الله فيه ليشغل نفسه بالانقطاع الى العبادة والتجرد والتنسك معتديا بذلك على رزق أولاده ومصالح الناس المنوطة به . فذلك كله انحراف عن القصد الصحيح الذى أراده الله للأعمال .

فالظلم اذن هو انحراف عن العناية الصحيحة . وصدق الله قوله فى الفاتحة « **اهدنا الصراط المستقيم** » فهو معيار العدل وعصمة من الظلم .

والظلم كما بيننا درجات . فمن الناس من هو ظالم لنفسه فحسب . ومنهم من هو ظالم للأقربين له . ومنهم من يظلم الناس جميعا ، ومنهم من يظلم الناس فى زمنه وفى أجيال مقبلة . كسياسى يزج ببلده فى حرب ظالمة ، أو كاتب يدعو الناس الى مايضرهم ويبقى مايكتبه فيهم بعد موته .

الا أننى أكتفى - عن كثرة الأمثلة فى هذا الموضوع الفسيح - بأن أضرب مثلا من عدل القضاء وظلمه .

يقول الله العلى القدير فى محكم كتابه :

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا . »

«يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى . واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون . »

والقسط هو النصيب . أعطيت الشخص قسطه ، أى أعطيته نصيبه . ويقتضى ذلك ألا يجور المقسط على قسط آخر ، أى كنايه عن العدل وحسن التقسيم .

والشهداء جمع شهيد . وهو الذى يشهد فى أمر بأن يقرر مايستشهد به فيه . وليس ذلك قاصرا على الشاهد فحسب ، بل كذلك على الحكم الذى يلجأ اليه الناس يستشهدون برأيه بعد أن يطلعوه على واقعة ماهم مختلفون فيه .

وقد بينت الآيتين الكريمتين مايجب على المقسطين والشهداء - أى على القضاة ومن فى حكمهم من ذوى الرأى والمشورة والشهود وأهل الخبرة وغيرهم - فى أداء هذا العمل وطلبت منهم أن يكون قياما بالعدل ولله وجعلت الهدفين هدفا واحدا وعلى قدم المساواة بأن أحلتهما محل بعضهما فى الآيتين فتبادلا التقدم فيهما . ثم حرصت على بيان أهم أسباب عدم العدل والانحراف فى القضاء ونحوه ، على النحو الآتى :

١ - الانحراف شعورا بالنفس بقوله « **ولو على أنفسكم** » وهو أهم أسباب الظلم .

٢ - الانحراف بسبب القرابة بقوله « **أو الوالدين والأقربين .** »

٣ - الانحراف بسبب العطف الشخصى على أحد الخصوم ، اذ يجب أن يكون القاضى موضوعيا لايحسب حسابا لغير الظروف التى تتعلق بالدعوة ، كغنى الخصم أو فقره . فلا ينتصر للخصم تقديرا لغناه ولا يفرط فى العطف عليه بسبب فقره ، الا أن تكون الدعوة متعلقة بالمال ومطالبة هذا الفقير فان عنصر الفقر يكون من ضمن الوقائع التى ترتكز عليه الدعوى فى موضوعها . ولكن لايجوز العطف على قاتل لأنه فقير . اذ لا دخل للفقر فى مثل هذا الموضوع . ولذلك استدرك الله بقوله « **فان الله أولى بهما** » وليس للقاضى قياما عليهم خارج موضوع الدعوى .

٤ ـ الانحراف بسبب الهوى . ويدخل فيه أيضا الطمع فى رشـــوة أو نحوها .

٥ ـ الانحراف خوفا من نفوذ بعض الخصوم وخشية بطشهم . وقد أفرد الله لهذا السبب الآية الثانية لخطورته وغلظته . اذيجب على القاضى ألا يخشى فى الحق لومة لائم . وأن لايكون هيابا لحاكم أو عظيم .

ثم أن الله قرن الآيتين باسم « الخبير » لأن القاضى الظالم يتظاهر دائما بالنزاهة وحسن القصد . ولذلك ينبهه الله بأنه « **خبير بما تعملون** » لأنه مطلع على حقيقة القصد والنية فى العمل .

كما أن الآية تعرضت لأشهر جرائم القضاة ، وهى العدول عن الحق بأن أنذر بأنه خبير بما يعمله القاضى ، لأن الشارع أجاز للقاضى الامتناع أحيانا اذا لم يكن مختصا بنظر الطلب أو غير ذلك .

ويضيق المقام بالاستطراد فى سائر الاحكام المتعلقة بعدل القضاة ، وبما حوته السنة والآثار فى ذلك .

أما المظلوم فقد بين الرسول أن ليس بين دعوته وبين الله حجاب . كما انه قال من قتل تلقاء ماله فهو شهيد ومن قتل تلقاء نفسه فهو شهيد . وربما يكون الظلم الواقع على الشخص كفاءة له . كما أن وقوع الظلم على الشخص سند يجيز له رد العدوان بمثله لقوله تعالى « **من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » وبقوله « **الله لا يحب الجهر بالسوء من القول الا من ظلم .** »

عصمنا الله من الظلم ووقانا شره ووفقنا الى الانابة الله وحسن الفعال .

وكيل المشيخة العامة

عن مركز شربين

أصدر سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية قرارا بتعيين الوجيه الفاضل الاستاذ يحيى محمد توفيق الشربينى وكيلا للمشيخة العامة عن بندر ومركز شربين .

اليمن السعيد

تسمى باليمن الخضراء ، وبالعربية السعيدة ، وتمتد من نجد الى المحيط الهندى جنوبا ، والبحر الاحمر غربا ، ويتصل بها من الشرق حضرموت ، والشحر ، وعمان ، وبحر الهند جنوبا .

واليمن كانت تشمل دائما ، اليمن وحضرموت ، والشحر وعمان والعروض وتكون الجزء الجنوبى الشرقى من جزيرة العرب ، ويحدها بحر العرب من الجنوب ، والبحر الاحمر من الغرب ، ومن الشمال البادية .

ويرى بعض رجال التاريخ ان اليمن سميت باسم « **يمن بن قحطان** » ويرى آخرون انها سميت بذلك لانها عن يمين الكعبة .

وأشهر المدن اليمنية التى عاصرت التاريخ ، مأرب ، وسبأ ، ومعين ، ونجران ، وصنعاء ، والبيضاء ، وحيران .

وينتسب عرب اليمن آلى يعرب بن قحطان ، ويعرفون بالعرب المتعربة وكان يعرب من أعاظم ملوك العرب ، وهو أول من حياه قومه بتحية الملك

وذكر البيهقى فى تاريخه ان يعرب ولى آخوته على آلعرب ، فولى جرهما على الحجاز ، وعاد بن قحطان على الشحر ، وحضرموت بن قحطان على عمان .

ولليمنيين براعة تاريخية كبرى فى التجارة ، فهم تجار العالم الاول ، حتى ليذكر المستشرق المؤرخ ـ **مولر** ـ ان الدولة المعينية من دول اليمن قد امتد سلطانها بواسطة التجارة الى شواطىء البحر الابيض المتوسط وشواطىء خليج العجم ، ثم صعدت سفنها آلى أعالى البحار .

وذكر المؤرخ الاوربى « **استرابون** » انها أخصب بلاد العرب ، وذكر من محصولاتها ، المر والبخور والقرنفل والبلسم ، وسائر العطريات ، فضلا عن النخيل والغاب .

ووصف الهمدانى وادى « **ضهر** » باليمن بأن به من آلاعناب نحو عشرين نوعا ثم قال :

« وفيه أصناف العضاه من الخوخ آلحميرى والفارسى والخلاسى والتين والبلس والكمثرى التى ليس فى الارض مثلها والاجاجى والبرقوق والتفاح واللوز والجوز والسفرجل والرمان » .

ويروى « **هيرودوتس** » ان فى بلاد آليمن كثير من مناجم الذهب والفضة والحجارة الكريمة .

وقد شبهها الكتاب الاوربيون بكاليفورنيا الامريكية ، ولليمن تاريخ حضارى عظيم ويصف لنا « **الهمدانى** » فى كتابه الاكليل قصر غمدان بصنعاء . وقد بنى هذا القصر فى القرن الاول للميلاد ، وصفا رائعا

عجيبا . فقد كان له عشرين سقفا غرفا بعضها فوق بعض - أى عشرين طبقة - بين كل سقفين عشرة أذرع ، وقال ان بانيه لما بلغ غرفته العليا أطبق سقفها برخامة واحدة شفافة ، وكان يستلقى على فراشة فى الغرفة فيمر به الطائر فيعرف الغراب من الحدأة وهو تحت الرخام .

وكانت على أركانه أربعة تماثيل أسود من نحاس مجوفة ، رجلا الاسد فى الدار ، ورأسه وصدره خارجان من القصر ، وما بين فمه الى مؤخرته تجويف مقسم تقسيما علميا فاذا هبت الريح فدخلت فى أجواف الاسود سمع لها زئير كزئير الاسد .

ويكثر المطر فى اليمن فى أواخر الربيع الى أواسط الصيف وهى الى الحر أقرب ، وبها الأنهار الجارية والفروع الفيحاء ، والاشجار المتشابكة كما يقول ياقوت فى معجمه .

وحدثنا القرآن الكريم عن ملك سبأ فى اليمن وعظمة هذا الملك ومكانته الحضارية : « **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور .. فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل** »

وجاء سيل العرم فدمر هذه الحضارة وابتدأت الهجرة اليمنية الكبرى فسارت قبيلة ثعلبة بن عمرو نحو الحجاز واستقروا بيثرب - **المدينة** - وتغلبوا على من كان بها من اليهود .

وسارت قبيلة حارثة بن عمرو - وهم خزاعة - فاقتحموا الحرم واجلوا عنه سكانه من جرهم .

وسارت قبيلة عمران بن عمرو نحو عمان فاستوطنوها وهم أزد عمان .

وسارت قبيلة جفنة بن عمرو الى الشام ونزلوا بماء يقال له غسان فنسبوا اليه وهم ملوك الغساسنة .

وسارت لخم بن عدى الى الحيرة وسكنوها ومنهم مضر بن ربيعة أبو الملوك المناذرة .

وينتمى شعب اليمن الى العرب العاربة أى الصرحاء الخلص شعب قحطان .

وتقع مكة بين منتصف المسافة بين اليمن جنوبا والشام شمالا وكانت عير قريش تحمل من أسواق صنعاء ومن موانىء عمان واليمن الطيب والبخور والمنسوجات الحريرية والجلود والاسلحة والاحجار الكريمة .

وتحمل من أسواق بصرى ودمشق القمح والمصنوعات وزيت الزيتون والحبوب والخشب - رحلتى الشتاء والصيف -

وامتاز مسلمو اليمن بالرقة والزهد والبطولة ، وتشتهر اليمن بنوع من الثياب أطلق عليه « البرد » وكانت المرأة العربية ترتدى الحبرة ، وهى نوع من البرد اليمنية .

وفى أيام هشام بن عبد الملك الاموى خرج زيد بن على زين العابدين بن الحسين مطالبا بالخلافة .

والى زيد تنتسب طائفة الزيدية التى كونت لها دولة عظمى فى اليمن .

ولقد اتحدت اليمن مع مصر والشام فى عهود الفاطميين والايوبيين وشاركت اليمن مشاركة حاسمة فى الفتوحات الاسلامية ، كما شاركت فى حروب التتار والصليبيين .

واحتفظ اليمن طوال تاريخها بالاستقلال حتى جاء الفتح التركى الذى لم يستمر طويلا فقد قام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين فاستقل باليمن من الحكم التركى ، واليه تنتسب الدولة المتوكلية اليمنية .

واليمن بموقعها الهام الخطير تتحكم فى تجارة البحر الاحمر ومواصلاته وشواطئه .

وبعد استقلال اليمن حاول الاستعمار جاهدا أن يسلبها حريتها فلم يوفق .

وأغارت قطع الاسطول البريطانى على ميناء الحديدة . وأراد الانجليز مساومة الامام على اخلاء الحديدة فأبى ونازل الانجليز واسترد الثغر العظيم .

وينتمى أمام اليمن الحالى الى الامام زيد بن على بن الحسين حفيد النبى ويلقب الامام أحمد بلقب : « صاحب الجلالة أمير المؤمنين الناصر لدين الله »

ويلقب الذين ينتمون الى الامام زيد بلقب السيد ، كما يلقب الموظفون والمتعلمون بلقب القاضى .

وتعتبر قبيلتا حاشد وبكيل أهم القبائل اليمنية وعليهما يعتمد أئمة الزيدية ويسمونهما - الجناحين - ويساعد الامام فى تصريف شئون البلاد رئيس وزراء ووزراء يستمدون سلطتهم من الامام مباشرة .

وتبلغ مساحة اليمن ٧٥٫٠٠٠ ميلا مربعا وتتمتع بجو معتدل ، ويزيد سكانها على أربعة ملايين ٤٫٠٦٩٫٠٨٧ .

وتنقسم اليمن الى ستة أقاليم ادارية يطلق على كل منها اسم لواء يحكمه حاكم يسمى - عامل -

وينقسم كل لواء الى عدة أقضية ، ويقوم بالادارة فى كل اقليم طائفة من كبار الموظفين وهم القضاة ومأمورو الضرائب والمدرسون ومأمورو السجون وموظفو الجمارك ورجال الجيش وعمال بيت المال .

وتتحد اليمن الآن مع الجمهورية العربية اتحادا فدراليا أساسه التعاون الكامل والتساند الدولى الشامل . وقد تقرر أن تكون الحديدة الثغر اليمنى الكبير مقرا لمجلس الاتحاد العربى الذى يضم الجمهورية العربية واليمن ويرأس هذا المجلس السيد الاستاذ احسان الجابرى يعاونه وزراء من اليمن ومن الجمهورية العربية .

الأسراء والمعراج
والعلم الحديث

الله نور السموات والارض

للأستاذ حسنى طه شكيبان

حلقة من بحثنا الكريم (الحقيقة المحمدية والعلم الحديث) تأتى فى زمنها وان تقدمت عن مكانها ... تحية بين يدى هذه الذكرى العاطرة

يقصد بالاسراء السرى ليلا بالمصطفى الكريم من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى المبارك بفلسطين مولد عيسى ومهجر موسى ومهد ابراهيم واسحق ويعقوب ، ومملكة داود وسليمان ، ومرتع زكريا ويحيى وعمران ومريم البتول .

وقد شاهد المصطفى الكريم فى رحلته تلك من اكرام الله له ما أطلعه على آيات بينات فى طريقه لبيت المقدس ، وفى رحابه حيث احتشد له النبيون فصلى بهم جميعا اماما ـ كما هو مقامه ـ واحتفلوا به فى ليلة تجلى ربه الكريم عليه

ويقصد بالمعراج رقيه صلوات الله عليه فى آفاق الوجود حيث اخترق السبع الطباق الى سدرة المنتهى ـ حيث ينتهى علم الخلائق ـ وحيث يتغشاها من الجلال والبهاء ما يتغشاها مما لا يصفه بيان ، وحيث جنة المأوى التى تحيط بالارض والسموات : قال تعالى :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض ... »

ثم تجلى عليه ربه العظيم فأفاض عليه من أنواره وفيوضاته بما لا يوصف ببيان أو يحيط به عقل أو تصور ...

وقد عبر عن هذه الآيات فى الاسراء بقوله تعالى :

«لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير .. » وعن فيوضاته تعالى فى معراج حبيبه بقوله : « **لقد رأى من آيات ربه الكبرى .** »

والاسراء ثابت بالقرآن الكريم والسنة والاجماع ...

فسميت سورة باسمه واشتملت على آيتين كريمتين :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا . أنه هو السميع البصير . »

... « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ... » (٦٠)

وأما المعراج فثابت أيضا بالقرآن الكريم والسنة والاجماع .

فأما القرآن الكريم ففى سورة النجم آيات تدحض ببيانها كل من أراد أن يتأول أو يتمسك بالظواهر والقشور ... قال تعالى :

« والنجم اذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة المأوى (١٥) اذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦) ما زاغ البصر وما طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨) .

فهى تحدثنا عن تلقيه الوحى من جبريل ورؤيته مرة فى أعلى الأفق ثم دنا فتدلى ثم رؤيته ثانية عند سدرة المنتهى وعندها ينتهى علم الخلائق حيث يغشاها من الانوار ما يغشى وعندها جنة المأوى ... التى عرضها السموات والارض .. فكيف يتم ذلك دون عروج ورقى الى هذه الآفاق السامية ؟!.

والصحابة والأئمة من العلماء فى هاتين المعجزتين الكريمتين على آراء :

١ ـ كلاهما حدث بالروح وبالجسد ... وعلى ذلك جمهور الصحابة وعلى رأسهم ابن عباس حبر الأمة وعمر وأبو بكر وعلى وعثمان ، وبه يقول جمهور المفسرين

٢ ـ كلاهما حدث بالروح يقظة ـ لا مناما ـ وبه قال بعض الصحابة منهم عائشة أم المؤمنين ومعاوية . وعليه بعض المفسرين والمعتزلة

٣ ـ الاسراء يقظة والمعراج مناما .

أما الوقت ففيه آراء : منها أنهما حدثا معا فى ليلة واحدة . ومنها أنهما حدثا فى ليلتين ، ومنها أن المعراج حدث مناما قبل الاسراء والمعراج معا ..

ثم قيل : انهما حدثا فى ليلة ٢٧ من رجب ـ وهو المشهور ـ فى السنة الثانية قبل الهجرة ، أو فيما بعد الهجرة ...

والذى يقرره الجميع أنهما حدثا للمصطفى الكريم تكريما له من رب العزة بعد سنوات من الكفاح المرير فى هضاب مكة الجدباء ، وفى أعماق نفوس أهليها الجافية ، ومع عنتهم ولجاجهم العنيف .

وآراء الأئمة مبسوطة فى كتب التفسير والحديث ، وحسبنا منها مقالة كريمة لأكبر صديق ، لابى بكر خليل المصطفى ورفيقه فى الغار وصاحب الايمان الراجح بايمان الأمة .

ذهبت اليه قريش تحرضه على الانتقاض على الرسول بعد حديث الاسراء والمعراج فقال لهم : وانه لصادق .. قالوا : أو تصدقه فى هذا ؟.. قال مقاله الرائعة .. وكيف لا أصدقه وأنا أصدقه فى أكبر من ذلك .. أصدقه فى خبر السماء يتنزل عليه ... »

فهو يصدقه فى تنزل جبريل الأمين عليه،والملائكة بين يديه ، واصطفاء الله له بهذه الرسالة العظمى ، وما نزل جبريل وصحبه الا ليكونوا جنودا بين يدى القائد الأعظم من رحمة الله للعالمين ...

واذا كان جبريل وهو صديق محمد وجنديه اذا لزم الأمر يصعد فى كل لحظة ويتنزل لكل أمر دون حرج أو مشقة،فكيف بسراج الحياةوالداعى الأكبر بأمر الله ؟ ثم ماذا فى هذا ؟..

رب العزة الأعظم يستضيف حبيبه وخليفته الاول ورسول رحمته للعالمين ليفيض عليه من تجلياته ؟ .. ألا فلتقصر الألسنة عن الجدل العقيم فما كان لها أن تنال من هذا الجلال ...

وهدفنا اليوم أن نستعرض الفكر الحديث بمقاييس العلم الذى تعمق كثيرا من أسرار الكون العجيب ...

ويدعونا المقام أن نبسط الحديث فى التفسير العلمى لمعجزات الانبياء وكرامات الأولياء ولكننا نرجىء ذلك لحديث قادم بتوفيق الله - نقتطف منه سطورا اليوم

المعجزة :

« لقد قالوا : انها أمر خارق للعادة يجريه الله على رسول لتأييده فى دعواه أنه رسول هداية للناس من قبل الله تعالى ، ثم فيها من التحدى ما يعجز البشر عن الاتيان بمثلها » وذلك حق ... ولكنه لا يحمل أبدا معنى الخفاء المطلق الخالد ، فليس ما يمنع أبدا أن ندرك القوانين التى تجلت فى عمل هذه المعجزة أو تلك ضرورة أنه لايتم فى كون الله العظيم الا ما يجرى وفق سنن مرسومة رائعة النظام بديعة التكوين ساميه الحكمة ...

وأنت تشهد هذه الروائع من حكمة الله فيما صنع فى كل لحظة بعينى رأسك وفى تقارير العلماء كل يوم ، وتسمع ذلك فى القرآن الحكيم فى آيات كثيرة :

ولن تجد لسنة الله تبديلا ... انا كل شىء خلقناه بقدر .

والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء ... »

وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم .

وكل شىء أحصيناه فى امام مبين .

يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردلفتكن فى صخرة أو فىالسموات أو فى الارض يأتبها الله .

ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ...

أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون .

وكان الله عليما حكيما ...

فيض زاخر من آيات الحكمة الرائعة وراء كل صنعة وفى كل تدبير بقدر وأرانى أتعجل فأضرب مثلايشهد به العلم فى أدق دراساته وهو شىء سبق به القرآن العظيم وغفل عنه المسلمون ، وفيه من دلائل الايمان العجيب الرائع :

لقد مضت قرون والفكر اليونانى يسيطر على العقولفيقرر أن : الذرة : هى الجوهر الفرد والذى لا ينقسم على نفسه فهى أول حجر فى بناء الكون المادى وعليه مضت الفلسفة الاسلامية ، وقد غفلت عن صوتالقرآن الحكيم يوجه العقول والقلوب والجهود لهذه الآفاق العجيبة حيث يعلن عن انقسام الذرة الى أصغر منها ، ودورانها العجيب حيث ترى ساكنة : قال تعالى : **« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين »** (٦١) يونس .

ومثلها فى أول سبأ رقم (٣)

فانظر كيف يحدثنا عن شىء أصغر من الذرة وما ذلك الا بانقسامها لتخرج النواة وينفصل الالكترون ؟! ثم استمع الى هذهالساكنات الدائرات ... الساكنات فى مرأى العين الدائرات على الحقيقة :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع اللهالذى أتقن كل شىء » (٨٨) النمل . فهى راسخة راسية فى نظرك موارة دوارة كانطلاق السحاب - صنع الذى أتقن وأبدع كل شىء ...

وقد أخذ العلم بهذه الدقة فأعلن : « ان القوانين التى تحكم المجموعة الشمسية التى تنطلق كواكبها حول مركز الشمس هى نفس القوانينالتى تحكم الذرة فى أصغر حجر للكون المادى » بل « ان القوانين التى تسيطر على الخلية الوحيدة هى نفس القوانين التى توجه الانسان أرقى الكائنات ... فالذى فطر هذا هو الذى خلق ذاك ... »

سبحانه من خلاق عظيم .. **« ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ... » صنع الله الذى أتقن كل شىء » ... « فتبارك الله أحسن الخالقين »**

ولنا مع ذلك عودة بتوفيق الله تعالى ...

والآن الى الاسراء والمعراج فى منطق العلم الحديث .

ان الاسراء من مكة لفلسطين فى مسافة تبلغ ٢٥٠٠ كم تقريبا وقد استعظم ذلك العرب بمقاييسهم الصغيرة ووسائلهم العاجزة ... وقد زعم بعض المعتزلة أن ذلك الانتقال فوق الطاقة البشرية ونسوا أمرا أعجب وهو انتقال عرش بلقيس من أقصى اليمن فى الجزيرة العربية الى سليمان بفلسطين فى لمح البصر ...

أما العلم الحديث فلا ينكر من ذلك شيئا فقد ورد انه جىء له بالبراق الذى يطير ويضع حافره فى مدى بصره .. فهو طيارة الفضاء المادى لدى

الملائكة والارواح ان احتاجت ، وهو طيارة المصطفين الأخيار ... دون أن يحدث للجسد ما يعوق طبيعته ...

أما المعراج ففيه الحديث حقا ... ان معناه رقى المصطفى فوق الكون المادى كله حيث استفتح له جبريل الأمين السموات السبع المحيطة بالدنيا كلها ثم صعد الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ... فكيف تم ذلك علميا ..

لا يعرف العلم المادى سرعة أكبر من سرعة الضوء والتيار الكهربى فهو ينطلق فى الثانية الواحدة (١٨٦٫٢٨٣ ميلا) أى مايقرب من ٣٠٠ ألف كم ومعناه أنه يلف الكرة الارضية سبع مرات فى الثانية . فهل تحول الجسد الشريف الى نور فانطلق فى الكون المادى بسرعة الضوء ؟.. وفى هذا قضيتان : أفى منطق العلم تحول المادة الى نور ؟. .

وهل ان صح ذلك أيمكن أن يعود الى طبيعته ؟. وهل مع ذلك يمكنه اختراق الأكوان بالسرعة المعلومة فى ليلة واحدة ؟ ..

لقد قال الصوفية ان الجسد الكريم تحول الى نور ليصبح فى طبيعة الملائكة والسماء فهم من خلق النور كما يقول الحديث الشريف الذى رواه أحمد ومسلم :

« خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق الانسان مما وصف لكم » .

ومع ان نورانية الملائكة غير نورنا فان تحول الجسد الشريف لهذه الطبيعة يسهل عليه وفقا لقوانين الكون الرائعة الانطلاق فى هذه الآفاق.

والعلم الحديث لا ينكر تحول المادة بهذه الصورة ، وامكان اعادة تكوينها. وقد وصل فعلا لنقل المادة بهذه الصورة فى صورة مبسطة :

فالتليفزيون قائم على نقل الصور المادية المنطبعة على اللوحة الحساسة بتحويل جزئياتها الى ذبذبات كهربية لاسلكية ثم اعادة تكوينها على الوضع الاول لها فى جهاز الاستقبال (الراديو والتليفزيون) وكذلك الرادار - وهو أعجب - وكذلك نقل الصور للجرائد والمجلات بالراديو ... كل أولئك أعطى العلماء فكرة امكان نقل المادة بعد تحويلها الى ذبذبات كهربية

أما أن المادة نور ... فالعلم يقرر ذلك ... فالمادة مكونة من عناصر رئيسية تبلغ ٩٢ عنصرا اليوم وقد خلقوا منها ١٠ عناصر لا نظير لها فى الطبيعة ، وهذه العناصر مكونة من ذرات صغيرة ولكل عنصر وزن وعدد ذرى خاص به لا يتعداه فى قائمة تبدأ بالايدروجين رقم (١) وتنتهى باليورانيوم رقم (٩٢) ووزنه الذرى (٢٣٨)

ثم الذرة مكونة من نواة وهى شحنة كهربية موجبة والكترون وهو شحنة سالبة وجسيمات متعادلة أو عديمة الشحنة وكلها جسيمات أصغر من

الذرة نفسها فقلب الذرة اقل من الذرة ٥٠ ألف ضعف تقريبا والفراغ فيها كالفراغ بين الارض والشمس فى ذرة الايدروجين وألكترونها دوار حول نواتها كالارض حول الشمس تماما ... قوانين واحدة ويد خلاق عظيم واحد ...

فتبارك الله أحسن الخالقين ...

ومعناه أن المادة فى حقيقتها كهرباء والكهرباء طاقة واشعاع ونور . مما حدا بعالم فلكى شهير اسمه جيمس جينز الانكليزى أن يعتبر الكون المادى مظهرا لحقيقة هى الاشعاع والنور .. الاشعاع الذى تكاثف والنور الذى تجمع فسكن بعض الشىء فى المادة ...

ومن هنا يقرر العلم الحديث أن الاجسام فى النبات والجماد والحيوان والانسان فى الارض والكواكب والنجوم كلها من النور ...

وأراك تقرأ معى تلك الآية الرائعة فى سورة النور :

« **الله نور السموات والارض** (حتى قوله تعالى) « **نور على نور** ... (٣٥) » فالكون كله نور ... هكذا يقول العلم .. وبه قال القرآن العظيم منذ أربعة عشر قرنا ...

ولكن أيمكن مع ذلك اختراق الكون المادى والسموات ؟..

وهنا يقف العلم الحديث فلا يجد الى الآن تفسيرا بمقاييسه القاصرة... فالعلم يقرر أن الكون المادى وحده يتسع لبلايين السنين وقدره اينشتين بما يقرب من ٣٥ بليون سنة وهو كالكرة تتباعد مجراته ونجومه وسدمه عن بعضها .. حتى شبهه جيمس جينز بفقاعة الصابون التى تنتفخ وستنفجر يوما ما فلا نرى بعدها نجما فى السماء لتباعدها . وأما السماء فلا يعرف العلم الحديث عنها أكثر من السمو بمعنى العلو أما القرآن العظيم فقد قال : ان الكون المادى كله فى السماء الدنيا

« **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ... (٥) الملك ..** »

« **انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (٦) الصافات** »

فجعل المصابيح من النجوم والكواكب السيارة من حولها كلها زينة السماء السابعة المحيطة بكل ذلك... وما بالك بسدرة المنتهى عندها جنة المأوى التى عرضها كعرض السموات والارض فهى تحيط بكل ذلك :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض .... (١٣٣) آل عمران

أجل : لقد اخترق المصطفى الكريم كل هذه الآفاق .

والعلم الحديث يؤمن فى ذلك بتحول الجسد الى نور ، وان كان لايملك منطقا اليوم لتفسير هذه الظاهرة الكونية الرائعة ... فهى الى الآن فوق

العقل البشرى لم يكشف الله لنا عن سترها وان كان قد وعد بكشف الكثير من الآيات الرائعات .. قال تعالى :

« **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** .. » آخر فصلت

ولو قد ذهبت تتصور مع العلم والقرآن هذا الكون لكان كما فى هذه الصورة المرفقة : قال تعالى : « **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين** » . المؤمنون . وقال : « **الله الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت** » . الملك

ومعناه أن المصطفى رقى هذه الآفاق كلها .. وهل تجد فى ذلك من عجب ؟! .

لقد قال رب الوجود : لنريه من آياتنا .. انه هو السميع البصير . فهى آياته المنسوبة اليه ... ان من آيات الانسان اليوم صاروخا وقمرا وكوكبا عاشرا ينضم للمجموعة الشمسية ... فما بالك بآيات الخلاق العظيم ؟..

ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله قال تعالى :

« **ومن آياته الشمس والقمر** ... » ولكنه لا يصفهما بالكبر أما الآيات التى أطلع الله حبيبه عليها فى تلك الليلة فقد قال عنها : « **لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨)** » النجم

انها الآيات الرائعات فى خلق السموات وخلق الملائكة وآفاق الملكوت الأعلى حيث رقى مقاما لم يبلغه ملك أو كائن ، وفرض عليه وأمته خمس صلوات ليتصل فيها الكيان الروحى بسره الاعظم وروح الوجود الاعظم فيرقى الانسان يوميا بروحه لربه خمس مرات رقيا عاليا . أفلست تسمع الرسول يقول عنها :

« **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** ... » ألست تسمعه وهو يغادر الارض الى أول الآخرة لا يرضى بالارض ولا بالسموات السموات التى شاهد فيها الملائكة فى ليلة عروجه فرأى آدم وموسى وهرون وعيسى وزكريا وابراهيم ... لا يرضى بذلك فيقول آخر كلمة له : **بل الرفيق الأعلى من الجنة** ...

وأفصح عن هذا المقام مرة فقال :

« **لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا** »

ان المقام المحمود فى حضرة الرب الكريم فاقصروا !! فهناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هناك قول الله تعالى :

لقد رأى من آيات ربه الكبرى وكفى ...

والى لقاء كريم ..

حسنى طه محمد شكيبان
معلمات راس التين - اسكندرية

رأى الامام محمد عبده
فى الصوفية

تلقينا من الأستاذ محمود حسنى حسين القاضى السابق بالمحاكم الوطنية • الكلمة التالية :

الأستاذ طه عبد الباقى سرور •

تحية وسلاما وبعد :

فانكم تعلمون أن المغفور له الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا ، وصاحب التفسير الجليل الذى نشرته مجلة المنار ، هو امام عظيم ، وفيلسوف اسلامى كبير يرجع الفضل اليه فى بعث النهضة الدينية والسياسية بالشرق العربى هو والسيد جمال الدين الافغانى • وقد نفى عقب الثورة العرابية الى الشام فاشتغل بالتدريس • ومن الكتب التى شرحها مقامات بديع الزمان الهمذانى •

وقد جاء فى المقامة الكوفية من هذا الكتاب كلمات للامام محمد عبده شرح فيها رأيه فى الصوفية •• أحببت أن أطلعك عليه فقد عرفها لنا أحسن تعريف قال :

« الصوفية هم طائفة من المسلمين همهم من العمل اصلاح القلب ، وتصفية السرائر ، والاشتغال بالأرواح ، والاتصال بالحق الأعلى جل شأنه ، حتى تأخذهم الجذبات اليه عمن سواه ، وتفنى ارادتهم فى ارادته ، وصفاتهم فى صفاته ، والعارفون منهم البالغون الى الغاية من سيرهم فى أعلى مرتبة من الكمال البشرى بعد النبوة : »

المجلة : تشكر للأستاذ الفاضل تلك اللفتة الطيبة التى كشف لنا بها عن أثر تاريخى جليل • وحسب رجال التصوف أن يقول عنهم امام النهضة العلمية والدينية فى الشرق الشيخ محمد عبده انهم :

« فى أعلى مرتبة من الكمال البشرى بعد النبوة »

الوسيلة إلى الله

للاستاذ الكبير عبد الوهاب خلاف

« **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله . وابتغوا اليه الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون** » (٣٥ المائدة)

أمر الله سبحانه المؤمنين بهذه الاوامر الثلاثة ، مخاطبا لهم بوصف الايمان ليشعرهم بأن من مقتضى الايمان ومن شأن المؤمنين أن يمتثلوا هذه الاوامر ، فان الايمان اذا كمل ورسخ سيطر على حواس المؤمن وجوارحه وأقواله وأفعاله فكان فيما يفعل وفيما يترك صادرا عن ايمانه موافقا ما يقتضيه ، فايمان المؤمن دعامة عمله ، وعمله مرآة ايمانه .

الامر الاول (**اتقوا الله**) اتقاء الله وقاية النفس من عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة ، ومعنى اتقوا الله قوا أنفسكم واحفظوها من عذاب الله . وانما يقي المؤمن نفسه ويحفظها من عذاب الله اذا فعل ما أمره الله به واجتنب ما نهاه عنه . ومن عرفوا التقوى بأنها امتثال الاوامر واجتناب النواهي فقد عرفوها بسببها وما يستلزمها . والله سبحانه بهذا يلفت المؤمنين الى أن امتثالهم أوامره واجتنابهم نواهيه واجب حتم عليهم من وجهين : أولهما أن هذا مقتضى الايمان به ولا يتفق الايمان الكامل بالله والخروج عن حدوده . وثانيهما : أن في هذا وقاية أنفسكم من عذاب الله وسخطه .

الامر الثاني (**وابتغوا اليه الوسيلة**) الوسيلة والوصيلة لفظان معناهما واحد وهو ما يتوصل به المؤمن الى ربه . وليس المراد ابتغاء الوسيلة الى ذات الله ، وانما المراد ابتغاء الوسيلة الى ثواب الله ورحمته ورضاه ، وانما قال سبحانه : (**وابتغوا اليه الوسيلة**) ، ولم يقل وابتغوا الوسيلة اليه . ليلفت المؤمن بهذا التقديم الى أن عليه أن يبتغي الوسيلة

الى الله وحده ولا يبتغى الوسيلة الى سواه. كما قال تعالى : (وإياك نستعين) أى نستعين بك وحدك ولا نستعين بأحد سواك لأن العون الحقيقى لايكون الا من الله ، ومن لم يكن الله فى عونه فلا عون له . ومعنى وابتغوا اليه الوسيلة اطلبوا واقصدوا ما يوصلكم الى ثواب الله ورحمته ورضاه .

وأول وسيلة يتوسل بها المؤمن الى ثواب الله ورضاه هى ايمانه الصادق وعمله الصالح وطاعته لله بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه فمن امتثل أوامر الله واجتنب نواهيه ووقف عند حدوده فقد اتقى الله أى وقى نفسه من عذابه وسخطه . وابتغى الوسيلة الى الله أى فعل ما يصل به الى ثوابه ورضاه .

ومن ابتغاء الوسيلة الى رضا الله وثوابه أن يطلب المؤمن ممن يرجو قبول دعائه أن يدعو له أو أن يعمل عملا يحمل بعض أهل الخير على أن يدعو له. فطلب الدعاء أو فعل ما يحمل على الدعاء هو ابتغاء الوسيلة الى رضا الله ، وقد ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له : فقد عد دعوة الولد الصالح عملا لأبيه والله لا يضيع عمل عامل ، وورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه وسله أن يستغفر لك فانه مغفور له » .

وورد فى الحديث الصحيح ان عمر بن الخطاب استأذن رسول الله فى أن يعتمر فأذن له الرسول وقال له « لا تنسنا ياأخى من دعائك » .

وورد فى الصحاح أنه لما أجدبت الارض فى عام المجاعة خرج عمر ومعه كثير من أصحاب رسول الله وأخذ معه العباس بن عبد المطلب وقال عمر فى دعائه : انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك برسولك ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهانحن نتوسل اليك بعم نبينا . ويأخذ العباس فى الدعاء ويؤمنون على دعائه .

فرضا الله سبحانه وثوابه ورحمته جزاء منه جل شأنه ، والجزاء انما يكون على عمل يعمله المؤمن ليصل به الى هذا الجزاء . والعمل الذى يعمله المؤمن ليستحق به رضا الله هو طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ،

ودعاؤه وسؤاله الرضا والرحمة . واستدعاؤه أى طلبه ممن يرجو قبول دعوته أن يدعو له أو فعله ما يستوجب الدعاء له .

وجمهور المسلمين فى دعائهم وابتهالهم يتوسلون برسول الله وبسائر الانبياء والمرسلين ، وبمن يعتقدون أن لهم كرامة عند ربهم من أوليائه الصالحين . يتوسلون بهم وبصفاتهم وبميزاتهم وكراماتهم . فالمؤمن يقول فى دعائه ربه : الهى ارحمنى وارض عنى برسلك وأنبيائك . أو بجاه رسلك وأنبيائك وأوليائك . وفريق من المسلمين يستنكر هذا النوع من التوسل ويقول : ان الوسيلة الى رضا الله العمل . وأما ذات الغير أوصفاته سواء أكان حيا أم ميتا فليس عملا يتوسل به المؤمن الى جزاء من الله .

ولاأرى موجبا لهذا الاستنكار لأن من يتوسل الى الله أو بولى من أولياء الله هو يتوسل الى الله بدعوة أو شفاعة ممن يتوسل بهم لابذاتهم . ولهذا قال عمر فى دعائه انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك برسولك ونبينا محمد . وماكان توسلهم الا بدعائه ، ومن يتوسل الى الله بجاه رسول الله أو جاه ولى من أوليائه هو يتوسل الى الله بصفة من صفات الله أو فضل من أفضاله ، لأن جاه الرسول عند الله هو فضل الله عليه وتكريمه ، فالمؤمن يتوسل الى الله بصفات الله وأفضاله .

واعتقاد المؤمن أن رسول الله والاولياء من المؤمنين شهداء وأحياء عند ربهم ، هو الذى يبرر توسله بهم فى حياتهم وبعدموتهم ويبعثه على استدرار دعائهم وشفاعتهم .

على هذا التوجيه السليم المتفق وايمان المؤمن يجب أن يوجه التوسل برسل الله وبأوليائه ، فالمؤمن انما يريد بالتوسل بهم التوسل بدعوة منهم أو شفاعة أو لفتة وهم مقبولون عند الله فدعوتهم للمتوسل بهم أو شفاعتهم أو لفتة منهم تصل به الى رضا الله ما دام أهلا لرضاه .

ولا ينبغى تشديد النكير على هؤلاء المتوسلين ونسبتهم الى المروق لأن قلوبهم عامرة بالايمان بالله . ونواياهم حسنة ، والاعمال بالنيات ، وعلى هذا التوجيه يوجه قول من يقول يارسول الله أو ياولى الله فهو لا يناديه عابدا له أو مؤلها له ، وانما يناديه مستشفعا به أو سائلا دعوة منه . والنهى فى قول الله سبحانه : **(فلا تدعوا مع الله احدا)** . هو عن الدعاء الذى هو عبادة ، وياحبذا لو انتفعنا بايمان هؤلاء المؤمنين ووجهناهم

التوجيه الصحيح بدلا من توسيع الخلف بين المسلمين وتفريقهم شيعا .

وقد وردت الوسيلة فى بعض الاحاديث بمعنى خاص ليس هو المراد فى الآية . روى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه عشرا ، ثم اسألوا لى الوسيلة وهى درجة فى الجنة من سألها لى حلت له شفاعتى .

الامر الثالث (**وجاهدوا فى سبيله**) الجهاد والاجتهاد بذل الجهد **واحتمال المشقة** ، **وسبيل** الله هو الصراط المستقيم الذى يوصل الى خير الجماعات والافراد ، فى الاولى والآخرة ، والله سبحانه أمر المؤمنين أن يبذلوا الجهد ويحتملوا المشقات فى سبيل ما يوصل الى الخير والعزة ، فى الدين والدنيا من القتال فى سبيل الله ، ومقاومة من يتعدى حدود الله والتناصح والتآمر بالمعروف وكل ما يوصل الى الخير العام والمصلحة للأمة والافراد .

ومن أنعم النظر فى أوامر الله الثلاثة تجلى له أن الله سبحانه أمر المؤمنين بطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ورغبهم فى هذا وحثهم عليه بأن وصفه أولا بأنه اتقاء لعذاب الله ووقاية من سخطه ، وبأن وصفه ثانيا بأنه ابتغاء الوسيلة الى رضاه وثوابه ، وبأن وصفه ثالثا بأنه جهاد فى سبيل المصلحة العامة للافراد والامة .

وأكد هذا الحث والترغيب بقوله (**لعلكم تفلحون**) أى لاجل أن تفلحوا وتفوزوا بالخير والسعادة فى الدارين فلفظ لعل من الله سبحانه ليس للترجى وانما هو لبيان مايرجى أن يحصل أى للتعليل ، والافلاح لايكون الا نتيجة لعمل العامل وكسبه يقال أفلح المجاهد فى سبيل الله وأفلح المتقون . وأما من وصل الى نتيجة بغير عمل منه ولا مباشرة سبب فلا يقال له أفلح فلا يقال أفلح الوارث فى ارثه ، فتقوى الله وابتغاء الوسيلة اليه والجهاد فى سبيله أعمال للمؤمن من سعيه وكسبه فاذا وفق فيها فقد **أفلح** أى فاز فوزا هو نتيجة عمله (**والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم**) .

عبد الوهاب خلاف

مَن هُم الأولياءُ حقًا
وبما نكرمهم

للأستاذ أحمد على نور الدين
مفتش مساجد قنا وأسوان

يقول الله تعالى :

« ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون الآية .. »

الأولياء جمع ولى . والولى (هوالعارفبالله مايجب وما يجوز وما يستحيل المواظب على الطاعات المتجنب للمعاصى المقلل من المشهيات واللذات المباحة بقدر المستطاع .

فلا يكون الولى الا عالما بالله تعالى عاملا بما علم ولهذا قالوا ما اتخذ الله من ولى جاهل . ولو اتخذه لعلمه .

وقال الأستاذ الجنيد (علمنا هذا) يقصد التصوف (مقيد بالكتاب والسنة) وقال الامام أبو الحسن النورى قرين الجنيد (من رأيته يدعى مع الله تعالى حاجة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربن منه فانه مبتدع لأن من لم تشهد الشريعة لأفعاله وأقواله فهو مبتدع وان جرت عليه أحوال خارقة للعادة لان ذلك من جملة المكربة) .

وقال أبو القاسم القشيرى (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع) وقال أبو يزيد البسطامى (لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تعتقدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود وآداب الشريعة) .

وقد سمع برجل اشتهر بالولاية والزهد فذهب اليه مع أصحاب ليعلم سيره فلما دخل عليه فى المسجد رآه قد تنخم فى قبلة المسجد لم يسلم عليه وقال لأصحابه ارجعوا بنا فان الله لم يأمنه على أدب من آداب شريعته فكيف يأمنه على أسراره ! .

هذا هو الولى حقا الذى أشارت اليه الآية الكريمة وتلك طريقهم التى ساروا عليا كما تبينت من أقوالهم وأفعالهم وكلها مأخوذة من الكتاب والسنة أما بالتصريح واما بالاشارة كما فى بعض آدابها . وبهذا حفظ الله أولياءه وأعلى منارهم وجذب قلوب العباد الى حبهم وبقيت أعمالهم وان فنيت

أعيانهم فليست الولاية ميراثا يورث أو تركة تقسم بل هى علم وعمل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(نحن معاشر الأنبياء لانورث) وقال (العلماء ورثة الانبياء) .

فالعلماء يرثون الانبياء فى تعلم العلم وتعليمه للناس والعمل به ونشره بشتى أنواع النشر وبهذا ترتبط القلوب وتتحد الصفوف وتجتمع الكلمة وهذا مايتطلبه الدينمن الناس فى هذه الحياة

(وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

فكل من كان على استعداد للسير فى هذا السبيل كان على جانب من الولاية وتتفاوت درجته حسب أستعداده الروحى ولزومه لطاعة الله عز وجل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
قال الله تعالى (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب) .

قال شارحى الحديث ان المراد بالولى المؤمن ويكون المعنى من آذى مؤمنا فقد أعلنته بالحرب أى بالهلاك وهذا ماتفيده الآية أيضا .

قال بعض العارفين (اياك ومعاداة أهل لااله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة) .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله قال (من أذى مؤمنا آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن أذى الله تعالى فليتبوأ مقعده من النار) .

فاذا أردنا تكريم هؤلاء السادة فى أيام ميلادهم كما يكرم كل خالديشعر بالعزة والكرامة والحرية والمساواة أبناءه المجاهدين وقادته المخلصين وساسته النابهين علينا أن نكرمهم بما يرضيهم ويزجى اليهم كل ثناء عاطر وذكر خالد .

ولن نكون كذلك الا اذا عملنا على نشر تعاليمهم وتخلقنا باخلاقهم وتأدبنا بآدابهم وسرناعلى نهجهم فى طاعةالله تبارك وتعالى وأخلص بعضنا لبعض وعملنا أفرادا وجماعات على مايعود علينا بالمحبة والوئام وأصبحنا كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ورزقنا حبهم وحب من يحبهم وحشرنا معهم .

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله متى

الساعة .. فقال النبى ما أعددت لها .. قال الرجل ماأعددت لها من كثير صلاة ولاصيام الا أنى أحب الله ورسوله .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم .. (أنت مع من أحببت)

وان عهد سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية عهد تجديد ونهضة وعهد تطوير واصلاح والقضاء على كل مادخل على الطرق الصوفية من دخيل وأود مخلصا أن يعمل سيادته على أن تشكل كل طريقة فى كل مركز ومديرية لجنة خاصة لمنح الاجازة للخليفة أو النائب بعد أن يجتاز الامتحان فيما يصحح به عبادته ومعاملاته مع الله والناس أما أن تترك الاجازات على ماكان عليه الحال من قبل وتعطى لكل طالب لها حتى ولولم يعرف كيف ينطق بالشهادة على وجهها الصحيح فهذا عمل لايرضاه الله ورسوله وبالتالى يحط من كرامة الطرق الصوفية ويزرى بها وان الحوادث التى تحدث من أمثال هؤلاء عندنا لتثبت صدق مانقول والله نسأل أن يجعل صاحب السماحة باعث النهضة الاسلامية المجدد لأمر دينها المعيد لسيرتها الاولى فهو خير مسئول وبالاجابة جدير انه نعم المولى ونعم النصير .

• المجلة : عرضنا هذا الاقتراح على سماحة السيد شيخ المشايخ . فاجاب بأن هذا الاقتراح محل نظر عند تعديل اللائحة . ونحن شارعون فيها فعلا وقد عهدنا الى بعض الاصدقاء من رجال التصوف المستشارين بمجلس الدولة فى وضعها . وستقدم للمسئولين لاقرارها .

تعقيب علمى :

الاستاذ منصور رجب
فى أحاديثه

لفضيلة الأستاذ الشيخ سيد على الطوبجى

نشرت جريدة الشعب مقالا للأستاذ منصور رجب بعنوان : « من أفواه الشعب » وجاء فى غضون كلمته جملتان احداهما : « ما وسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » والثانية : « الاخلاص سر من أسرارى أودعته قلب من أحب من عبادى » ٠

فجعل الجملة الاولى من كلام الله سبحانه حيث قال « فخالق السموات والارض يقول » وفى الثانية قال « صدق الله العظيم »

فلو صحت الجملتان عن النبى عليه الصلاة والسلام عن رب العزة ، لقلنا أن هذا حديث قدسى ، ولكن فليسمع القراء ٠ انهذين الجملتين نبه عليهما علماء الحديث ٠ فالسيوطى فى الدرر قال :

« انه لا أصل له » وابن حجر فى كتابه الفتاوى قال : « انها من الاسرائيليات » والزركشى قال : « ان هذاحديث باطل منوضع الملاحدة ؟!

فكلمة من وضع الملاحدة يقول عنها الأستاذ انها من قول خالق السموات والارض ؟ ٠

والجملة الثانية قال عنها زين الدين العراقى مخرج أحاديث الأحياء : « سنده ضعيف » فاذا لايصح أن يقول الاستاذ : صدق الله العظيم : تلك الجملة التى لاتقال الا للقرآن الكريم لأنه مقطوع بخبره عن الله تعالى ٠٠

وقد وعد النبى عليه السلام من كذب عليه متعمدا بالنار ! ٠

ولكن الأستاذ لم يتعمد على الله بل تسرع ولم يراجع ، وفى امكانه المراجعة والتصحيح ، فمن علم ولم ينبه دخل تحت الوعيد النبوى وهذا بالنسبة لكلامه ، فما بالك بمن يكذب على الله ٠ والحمد لله أن الشيخ لم يتعمد بل تساهل واعتمد على ما رآه فى بعض الكتب التى لم تحرر٠٠»

سيد على الطوبجى

سورة الشمس
وأسرار الكون والنفس

- ١ -

•• بين المحرر وبين قطب من كبار الاولياء العارفين رسائل تحلق فى كل أفق من آفاق المعرفة الظاهرة والباطنة •

ورسائل هذا القطب فيوضات ربانية ، هى نسج وحدها علما وذوقا والهاما • وتلك رسالة من رسائله ، وسنوالى ان شاء الله نشر هذه الرسائل لما فيها من هدى ونور وكشف مبين ••

قال تعالى : « **والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** » •

بدأ الله سبحانه القسم بالشمس ، وختم بالنفس ، وجواب القسم بعد ذلك بقوله : « **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** » وفى الجمع بين الشمس والنفس ، فى القسم اسرار ومعان ، فالشمس فى السماء وهى تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والنفس فى الأرض ومن الأرض واليها المرد • قال تعالى : « **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى • ذلك تقدير العزيز العليم** » •

الشمس تستمد نورها وضوءها من الله الخالق لها ، ثم تمد الأرض بهذا النور من الله ، والشمس رغم المسافة التى بينها وبين الأرض أقرب اليها بنورها وضوئها وآثارها من أقرب قريب لها ، فانها بمجرد الشروق عليها تفيض عليها بالنور الذى يمحو ظلامها ، ومجرد الغروب عنها يعود الظلام اليها كما كان من قبل ، الارض وما فيها من المخلوقات حياتهم المادية بالشمس ، فالشمس محور الحياة وعمودها الفقرى ، وهى التى عليها مدار هذا الكون ، حياة وعدما ، وقد اقسم الله بذاتها المخلوقة المرئية لكل ناظر اليها ، واقسم بضوئها المخلوق لكل منتفع به ، يرشد بذلك الى عظمته فى ربوبيته ووحدانيته فى قدرته ، فيحصل الايمان به سبحانه على بصيرة نافذة ، وقدرة خارقة قال تعالى : « **تبارك الذى جعل فى**

السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا : وهو الذى جعل الليل خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما : »

ولقد جمع الله بين الشمس والنفس لما بينهما من الصلة والشبه فى أداء الرسالة ، والادلال على ربوبيته بشتى الصفات منهما ، ومختلف الاحوال من كليهما

فالشمس بأفعالها وآثارها تدل على الخالق لها المتولى تدبيرها بأدق ما يكون نظاما وترتيبا ، والنفس بأفعالها وآثارها وأحوالها ، تدل على الخالق لها ، فقد خلقها وسواها ونفخ فيها من روحه سبحانه ، والروح من أمره ، كما هو الشأن فيما يتعلق بالشمس ، الشمس بذاتها فى السماء وبآثارها وافعالها وأحوالها على الأرض ، والنفس بذاتها المخلوقة فى الأرض تسبح عليها كما تسبح الشمس فى السماء ، وبآثارها واحوالها وأفعالها فى السماء

رسالة الشمس نازلة ، ورسالة النفس صاعدة قال تعالى : « **اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه** » اشراق الشمس على الأرض واشراق النفس الى السماء وفى السماء ، سواء أشرقت بفجورها أو تقواها ، والله بما تعملون بصير

لقد أقسم الله بالشمس وضحاها ، لما للشمس وضحاها من الآثار المحسوسة ، على حياة النفس التى سواها ، فالمقصود بالقسم هى النفس التى سواها فألهمها فجورها وتقواها ، حيث هى المراد بهذا الكون منه سبحانه .

ولما كان الانسان هو المراد بهذا الكون وهو المقصود بالعالم السماوى والعالم الأرضى ، فقد اقسم الله بالكائنات العظيمة التى خلقها لأجله ليتعرف بها اليه ويهتدى بها الى ربو بيته تعالى ، وبالغ عظمته سبحانه « **ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب . الذين يذكرون ، الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » .

لقد بدأ الله القسم بالشمس وضحاها وختم بالنفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، لما للشمس والنفس من تقارب فى الاتصاف والاتحاد

فمن صفات الشمس الشروق والغروب ، ومن صفات النفس الهام الفجور والتقوى ، الشمس مشرقة بأمر الله وقدرته فى شروقها وغروبها ، وكذلك

شأن النفس فى الهاميها ، رغم مظهر الارادة منها ، فانها مشرقة بأمر الله حكمها حكم الشمس سواء بسواء ، وبهذا العلم والايمان بالله يسقط الادعاء من جانب الانسان المفتون بارادته المغتر بقدرته الظلوم الجهول

فالشمس بضحاها تضيء الأرض وتنيرها حركة وشغلا ، وعملا وانتاجا وبغروبها تظلم الارض بذهاب الضوء منها فيكون السكون والركـــود والسبات وما الى ذلك من صفات الليل المظلم

والنفس بالهام تقواها ، تشرق على البدن نورا وضياءا فيكون من جانب الأعضاء والجوارح الحركة والنشاط الى صالحات الاعمال ، واكتساب الحسنات بشتى الاسباب والمسببات وبالعكس حين يكون الهام الفجور معنى للنفس وصورة لها ، فالبدن بكافة الجوارح والاعضاء نسبته الى النفس من حيث التأثر بالهامها ، كنسبة الأرض الى السماء من حيث التأثر بشروقها وغروبها ولذلك جمع الله بين الشمس والنفس فى القسم والله أعلم بمراده .

فتطور النفس وتقلبها بالالهامين ، كتطور الشمس وتقلبها شروقا وغروبا ، فانه حين يكون الضوء يختفى الظلام ، وحين يكون الظلام يختفى الضوء ، كأنه لا صلة بينهما ، ولا عودة للسابق على اللاحق ، فكذلك شأن الالهامين فى السيطرة والتسلط على البدن ، فان الانسان فى ساعة التقوى أبعد ما يكون عن الفجور ، وفى ساعة الفجور أبعد ما ما يكون عن التقوى

« **فالشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها** » : هى قوام الحياة المادية التى عليها قوام الحياة المعنوية ، « **ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها** » هى قوام الحياة المادية فى الحياة الأخرى التى تعقب هذه الحياة الدنيا .

فان نظام الحياة وترتيبها واحداثها وكل ما يتعلق برغبات الانسان واشراقه من الاسباب الى الحياة ، من عمل النفس وصنعها ، كأنه سبحانه وتعالى يقول لعباده . يايها الناس اعلموا يقينا بمقتضى ما يتلى عليكم من آياتى وما تلمسون بأيديكم من الاسباب الى الحياة فى الدنيا ، ان الوضع هناك يختلف عن الوضع هنا ، فان الحياة هنا قائمة على الاسباب المادية وبها بصورة منظمة أو طريقة مرتبة تلمسون آثارها وتنظرون أفعالها ليلا ونهارا ، فاعلموا يقينا ان الحياة فى الآخرة ستكون على غير هذا النسق والنظام والترتيب حيث لا استقلال ولا حرية لمخلوق ، ليكيف بهما حياته كيف يشاء ، فان هنا الكافر والمؤمن فى الانتفاع بمخلوقاتى سواء ، أما هناك فالحياة بكافة معانيها نظاما وترتيبا وأفعالا وآثارا

وسعادة وشقاوة سيكون له لون جديد على غير ما تألفون ، وعلى غير ما تعرفون ، فاعلموا يقينا انها ستكون لكم أو عليكم حسب الاعمال منكم ، مصدرها نفوسكم التى الهمها الله فجورها وتقواها ، قد أفلح بالحياة السعيدة هناك من زكاها هنا ، فاعلموا ان الحياة هنا بكافة معانيها ودواعيها والاسباب اليها بالشمس وضحاها الى آخر قوله سبحانه . **(والأرض وما طحاها)** ، أما هناك فالحياة ستتكيف بصورة الاعمال من النفس التى سويتها مستعدة مهيأة لانشاء الحياة التى تراها صالحة لها

فمن اراد منكم الفوز بالدارين ، والسعادة فى الحياتين فالطريقة الى ما يريد تزكية النفس من فجورها بالهام تقواها ، فقد أفلح بحمد الله من زكاها ، وقد خاب من أخفاها

لقد أقسم الله بالشمس وضحاها وبالآيات التى تليها فى الذكر ، وتليها فى الفعل والاثر ، فالقسم بذات الشمس ثم بضحاها ، ثم بالقمر اذا تلاها ، وبالليل آذا يغشاها ، والنهار اذا جلاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، وفى هذا الارتباط فى الذكر والبيان سر عظيم وما يتذكر الا أولو الالباب

ان هذه المخلوقات التى أقسم الله بها من الشمس الى النفس هى أعظم المخلوقات شأنا فى الادلال عليه سبحانه ، فان اضافة النفس الى هذه الكائنات العظيمة التى لها آثارها المحسوسة يدل على أن لهذا الانسان البسيط فى تركيبه ، الصغير فى هيكله ، الضعيف فى قوته وقدرته ، له صفة هذه الكائنات فى اداء الرسالة ، وفى ذلك تعريف لنا بحقيقة الانسان فى وجوده وايجاده ، فانه سبحانه كما خلق هذه الكائنات العظيمة وكلفها ان تؤدى الرسالة الدالة على قدرته وحكمته ، كما هو مشاهد للانسان فى كل لحظة من لحظات حياته .

كذلك خلق الانسان ، وخلق نفسه وسواها لتؤدى رسالتها الدالة على عظمة الله بذاتها وبما تشاهد من آياته

ويتهيء لى ان هذا الجمع فى الذكر بين الانسان ، وسائر ما خلق الله من الكائنات العظيمة التى تؤدى أضخم رسالة ، وهى فيما نعلم جمادية تفسير واضح لمعنى الروح الذى نفخه الله فى الانسان ليؤدى به الرسالة

فالروح من أمر الله وأمره سبحانه كن فيكون ، **(انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)** ، قال تعالى **(ويسئلونك من الروح قل**

الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ، وقد يكون هذا المعلوم القليل هو ما يتعلق بالآثار والأفعال من جانب الروح الذى هو من أمر الله .. **(وما قدروا الله حق قدره .. له مقاليد السموات والأرض)** .

لقد أضاف الله النفس مع هذه الكائنات العظيمة بصفتها القائمة الحسية بشتى ارادتها التى لها صورة الاستقلال والحرية فى حياتها الدنيوية ، تنبيها للاذهان وتذكيرا للقلوب والعقول الى حقيقة الوجود ، وطريقة الخلق والايجاد ، فلا يكون الكفر به سبحانه نتيجة مظاهر الحرية والاستقلال فى محيط الانسان

فانه لما يلمس من ارادته فى حركاته وسكناته لا يكاد يشعر بارادة الله وقدرته عليه ، ولذلك اضافة الله الى سائر الكائنات العظيمة التى لها فى الظاهر صفة الاستقلال والحرية فى حركاتها وسكناتها ، وهى فى الحقيقه كما يشهد هذا الانسان ويقر ويعترف تعمل بأمر ربها وتجرى بحكمة وتؤدى الرسالة عليها بقدرته وحكمته : **(الله نور السموات والأرض مثل نوره الخ الآية)**

فيايها الانسان شأنك شأن هذه الكائنات ، وحكمك حكمهم ، وقد ألهمك فجورك وتقواك من خلقك فسواك ، فلا تدع الشيطان يفتنك بما يوحى اليك ويوسوس فى صدرك بما ليس لك من الخلق والايجاد ، وما يوهمك من افعال نفسك الصادرة منك بمقتضى ارادتك وحسب هواك ، واعلم ان ما فيك من حركة وسكون هو من ربك **(الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك)** .

فانه سبحانه الهمك فجورك وتقواك ابتلاء واختبارا ، وجعلك سميعا لتسمع عنه ما يتلو عليك من كتابه المنزل هدى ورحمة وشفاء ، وجعلك بصيرا لتبصر بقلبك وبصرك آيات ربوبيته وافعال صفاته التى عليها مدار وجودك ومحور حياتك

فالشمس بضحاها أمام قلبك وبصرك طوال يومك ، **(والقمر اذا تلاها)** على مرأى منك أثناء ليلك ، **(والنهار اذا جلاها)** بآثاره محسوس لديك ، **(والليل اذا يغشاها)** بظلامه مخيم عليك لباس وسكن لك ، **(والسماء وما بناها)** لظلك فى ليلك ونهارك ، وبنجومها تضىء لك ، وباحداثها تنظم حياتك ، وبسحبها تمطر الماء لك **(هو الذى ينزل من السماء ماء .. وجعلنا من الماء كل شىء حى .. وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا)** ..

(والارض وما طحاها) بسطها ودحاها تتقلب عليها وفيها كيف شئت **(هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وآليه النشور .. والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل)**

(ونفس وما سواها) كما سوى هذه الكائنات العظيمة بالصدر والمعانى والافعال والآثار ، فالهمها لما لها من الاستعداد بمقتضى التسوية كما هو شأن المخلوقات العظيمة المذكورة قبلها بصفات أفعالها وآثارها وذواتها ، فجورها لتكفر بالله الرب الخالق ان شاءت ذلك ، وألهمها تقواها لتؤمن بالله الرب الخالق ان شاءت ذلك قال تعالى : **(خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . ان هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا .. ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)** : **(كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفره كرام برررة . قتل الانسان ما أكفره)** فيايها الانسان استخدم شطرك فى تزكية شطرك ، فانه لا فلاح لك فى عاجل أمرك وآجله الا بتزكيه فجورك بتقواك ، فالفجور منك ان تكذب ربك فيما ذكر لك وفيما ارسل اليك ، ايمانا منك بمظاهر الاستقلال فى حياتك متأثرا بواقع ارادتك ، وايحاء الشيطان لك ووسوسته فى صدرك ، وقد ميزك الله على هذه الكائنات المخلوقات مثلك بالروح الذى نفخه فيك ، والعقل الذى وهبه لك فلا يغرك ما ترى من نفسك ، ولا يفتنك الشيطان الذى هو عدو لك فاعمل جهدك على التخلص من هوى نفسك وعبادة شيطانك : **(ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين .. ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ..)**

(ونفس وما سواها) على أساس من العلم والاحساس بالله الذى سواها ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)** فالانسان بمقتضى فطرته يؤمن بالله ، وبدافع كبريائة وأنانيته يكفر بالله مع الادعاء بالانتساب اليه ، تخلصا من الاقرار بنعمه ، وانكارا لافضاله ، فانه لا يرى الا نفسه ولا يشهد الالها ولا يرضى أن يكون للغير حق عليه : **(ان الانسان لظلوم كفار .. وقليل من عبادى الشكور)** .

فألهمها من القدر الامكانيات والاسباب المفضية الى المسببات ما يحجبها عن رؤية مسبب الاسباب الموجد الخلاق رب الارباب الفعال لما يريد الذى هو بكل شىء محيط ..

(الحديث موصول)

ثوروا على النفس
قبل أن تثور

للاستاذ محمود محمد عماره
المدرس بمعهد دسوق

.. قرأت مقال الكاتب الصوفى الملهم الاستاذ طه عبد الباقى سرور الذى ينادى فيه بالاخذ بنظام الفتوة الصوفية حتى نخلق جيلا فتيا قويا مؤمنا .. وقد أوحى الى المقال بهذه الافكار ..

الصراع بين النفس والقلب .. قديم قدم الحياة نفسها .
وكل منهما يريد أن يقود الانسان ليكون فى خدمة أغراضه وأمانيه

النفس الأمارة بالسوء تجذبك الى الارض .. بما تزينه لك من شهوات وأطماع .. والقلب يصعد بك فى السماء ليصلك بالله .. لتتحسس بروحك مدارج الكمال والجمال

وللقلب جنود .. وللنفس جنود .. أما جنود القلب فهى نور يقذفه الله فى قلوب المصطفين من عباده .. فاذا هم قوة خلاقة بانيه .. تعمر الأرض .. وتصوغ الحضارات .. وأما جنود النفس فهى : شح مطاع .. وهوى متبع .. واعجاب المرء بنفسه .. ومتى أحيط الانسان بهذا الثالوث .. البغيض .. اهتزت فى ناظره القيم والفضائل ..

فاذا أجهزة الارسال معطلة : فلا ينضح كيانه بكلمة رطبة تهدى حائرا .. أو فكرة نيرة تبهج الحياة ..

وتتعطل فيه أيضا أجهزة الاستقبال .. فلا يؤثر فيه وعظ .. ولا ينصاع لمرشد أمين ..

واذا رأيت ثم رأيت النفس وقد شهرت أسلحة الرغبات .. وسيطرت بهذه الاسلحة على جو المعركة .. والقلب هناك يستنجد .. ويستنهض الارادة لتنطلق .. وترسلها صيحة مدوية تقطع على تلك الرغبات طريقها .. بيد أنها منكمشة عاجزة أمام هذا الطوفان .. لاتملك من أمر الانسان شيئا ..

ونحن مطالبون والحالة هذه ان نشحذ الهمم .. ونوقظ ضمائر المؤمنين .. وأن نفتح أعيننا جيدا .. لنرى ألاعيب النفس .. ودورها فى حياة الانسان ..

ومن هذه المعرفة نستطيع أن ننتصر بقلوبنا عليها .. فتصفو لنا الحياة ..

والانتصار على النفس مطمح بعيد المنال .. وما بعث النبيون وأرسل المرسلون الا من أجل هذه النفس .. وتقليم أظافرها .. وتسخير قواها لصالح البشر .. بدل أن تندفع قوة عمياء مدمرة .. لا تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم .

وليس من الغريب أن يكون انتصارك على عدوك أيسر من انتصارك على نفسك الأمارة هذه !!

لأنك تستطيع أن تحاور عدوك وتداوره .. متأكدا من عداوته لك ..

أما نفسك .. فهي ترتدي لك ثوب الصديق .. فتبدو ناصحة أمينة .. فتزين لك شهواتها .. وتقدمها في صورة تقبلها أنت وترتاح اليها ..

تزين لك التهور قائلة :
انه شجاعة !!
وتريك ايذاء الناس « فتوه .. والمداهنة .. سياسة !
والبلادة .. رزانة ! والثرثرة .. بلاغة !! واذا بك .. من حيث لا تدري .. في هوة بعيدة الغور .. ليس لها قرار !

وهنا أذكر الحكمة القائلة : كل شيء يعوزنا اذا ما اعوزتنا نفوسنا ..

فاذا ماتمردت النفس .. وولغت في حمأة الخطايا .. واذا ما أفلت زمامها وشلت الارادة أمام قوة اندفاعها .. سنخسر كل شيء في حياتنا .. وسيفصلنا عن الفضائل برزخ كبير ! لن نحس لذة الصدق .. لأنها تنهى عنه ..

لن نتذوق طعم الصراحة لأنها ليست لغتها ..
لن نشعر بدافع الكرم .. لأنها أحضرت الشح ..
لن نعتنق مبدأ الاتحاد .. فهي تفرق حتى بين الأخ وأخيه .. وصاحبته وبنيه ..

لن نتفيأ ظل الحب .. لأنها لا تنمو الا في لهيب الاحقاد .. وتصور معي أيها القارىء العزيز مجتمعا ثارت فيه النفس .. فقضت على تلك القيم جميعا !؟ ألا يستحق منا عطفا ؟!!

ألا يستحق منا ان ندق أجراس اليقظة في فجاج الأرض جميعا .. لتصحوا القلوب من غفوتها .. وتقطع على شهوات النفس شعابها ؟!!

ان الصواريخ الموجهة عبر السماوات وحول الشمس والقمر .. لن تستطيع أن تفجر في قلوب البشر ينابيع الرضا .. والسعادة .. وأن تدفعهم الى غد أسعد ..

فاذا ما نافس الانسان الطيور وهزمها فاخترع الصواريخ .. ونافس الاسماك .. فأنشأ الغواصات .. فيجب عليه أن يثور ليهزم نفسه أولا ! .. ومن هذه النقطة يستطيع أن ينطلق فى أمان !!

ان مشكلة الانسان تتلخص كما قيل فى أنه يتقدم فى أسباب قدرته .. أكثر مما يتقدم فى أسباب حكمته : فهو قد أغلق الباب فى وجه الغرائز التى تزرع فى القلوب أزاهير الحب والسلام ..

وفى الوقت نفسه .. فتحه على مصراعيه .. وأطلق العنان أمام غرائز السيطرة والطموح .. هذا الطموح الذى يمتطى ظهر القوة العنيفة الساحقة .. ليوجه القنابل . .والغازات لتحصد الارواح البريئة .. ثم اذا ما هتفت قلوب رحيمة : الذرة فى خدمة السلام .. تتقدم الحكمة .. يتقدم القلب الحانى .. ليمسك بالمطية الخطرة .. فتشرد .. وتتمرد ..

وهيهات أن يصل بها الى المرفأ السعيد !!

وهنا أقرر مع جان جاك روسو : ان العلم والمدنية .سبب فى تدهور الأخلاق ..

وحيث فشل العلم .. وعجزت المدنية عن حل مشكلات العالم ... وحماية السلام .. فما على الدين الا أن يتقدم ليمسك بالزمام .. ويقود القافلة .. الى الله .

وهنا التقى مع الكاتب الكبير الأستاذ طه عبد الباقى سرور فى ضرورة النظام الصوفى .. وهو « الفتوة الصوفية » هذا النظام الرائع .. الذى بنى أمما .. وصاغ حضارات .. وكان ثورة على النفس الامارة وانتصارا للقلب .. للملكات التى خلق الانسان مزودا بها ..

ليس فى الوقت فراغ فاعتزم ..
واملأ الدنيا بأعمال شريفة ..
أنت نور الأرض تهدى أهلها ..
لن يرى غيرك فى الأرض خليفة .

فلتتعانق قلوبنا .. ونمضى معا .. على الطريق .. نتخطى رغبات هذه النفوس فى عزم واصرار .. وصدق الاستاذ طه سرور ، اذ يملأ القلوب مضاء وذكاء .. ويفتح أمامها باب الأمل فيقول :

« هنا وهناك .. فى الأرض المباركة حيث رفت أجنحة الملائكة .. ورفرفت أعلام الديانات والرسالات .. تتلألأ أضواء فجر .. وتشع اشراقات بعث .. وتتجمع قوى .. وتتدفق ثورات .. عليها من رضاء الله توفيق .. وفيها من هدى النبوة بريق .. لتصنع من جديد دعوة ورسالة .. ونهضة مختارة .. يحمل أعلامها ويشعل مصابيحها .. أحفاد الرسل .. وورثة الأنبياء » ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

الطب النبوى

للدكتور ابراهيم مصطفى عبده
رئيس المعامل بكلية الصيدلة ـ جامعة القاهرة

ثلاثة أحاديث نبوية صحيحة أرجو أن أوفق فى هـذا المقال الى شرحها وبيان حقيقة معناها :

الحديث الأول
(عن العدوى)

قال صلى الله عليه وسلم **(لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الأسد)**

المراد به نفى ما كانت تعتقده الجاهلية من أن الأمراض تعدى بطبعها لا بفعل الله تعالى . فنفى فى أول الحديث العدوى بطبعها وبنه فى آخره الى الاحتياط مما يحصل منه الضرر بارادة الله وتقديره

والطيرة معناها التشاؤم .

وكانت العرب فى الجاهلية تنفر الطيور فان سارت جهة اليمين تبركوا ومضوا فى سفرهم . وان أخذت ذات الشمال تشاءموا ورجعـــوا عن قصدهم . فكانت تصدهم فى كثير من الأوقات عن مصالحهم .

روى أبو داود باسناد صحيح أن الطيرة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال **(أحسنها الفأل ولا يرد مسلما . فان رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت . ولا يدفع السيئات الا أنت . ولا حول ولا قوة الا بك)** .

أما قوله صلى الله عليه وسلم (لاهامة) ففيه تأويلان : أحدهمـــا التشاؤم اذا سقطت البومة على دار أحدهم زاعمن أنها بذلك تنعى موته أو بعض أهله . والتفسير الثانى أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت أو روحه تنقلب هامة تطير فيفزع القوم لرؤيتها .

وأعجب تفسير قرأته لقوله عليه الصلاة والسلام (لاصـــفر) أن الجاهلية كانت تزعم أن فى البطن دابة تهيج عند الجوع وربمـا قتلت صاحبها . وأنها تنتقل بالعدوى من شخص الى آخر . وقد ذكر ذلك مسلم عن جابر راوى الحديث .

وقيل أنه شهر صفر وكانوا يتشاءمون بحلوله ولا يحاربون فيـــه متوهمين أن فيه تكثر الفتن

فأبان صلى الله عليه وسلم ضلال الجاهلية ، وفساد معتقداتها ، وبطلان عاداتها ..

الجذام - مرض معد تظهر أعراضه غالبا على الجلد وفى الاغشـــــية المخاطية . ويوجد ميكروبه فى افرازات قروحه .

وقيل انه ينشأ أحيانا عن السمك الفاسد . ولا تبدو أعراض الجذام الا بعد التعرض للعدوى بشهور . فيصاب المريض بحمى مترددة تظهر بعدها بقع حمراء مرتفعة قليلا ثم يزداد حجمها . وأكثر ما تحدث هذه الارتفاعات فى الوجه فتشوهه وتجعله أشبه بملامح الأسد . ثم يصاب المريض بمضاعفات مختلفة نتيجة التعفن .

وهناك نوع اخر من الجذام قد يؤدى الى شلل بعض الأعصاب فتصبح عضلات اليد كمخلب الأسد .

ومن ذلك يعلم حسن الاختيار للتشبيه فى الحديث . فكأن المجذوم يشبه الأسد فى الخطر وفى الشكل أيضا .

* * *

الحديث الثانى

(عن الطاعون)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل - أو كان على من كان قبلكم - فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه . واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه**) .

الطاعون - نعوذ بالله منه - وباء يفسد الهواء فيفنى به خلق كثير .

وأكثر أنواعه شيوعا المسمى بالدملى . وأعراضه فتور وصداع وألم فى الظهر . ثم يظهر ورم فى الفخذ أو الابط أو العنق . وقد تظهر قروح فى بعض البدن . ثم تنتشر فى سائر أجزائه . فيتكدر ما حول الورم باحمرار فى اللون مائل الى السواد . ويحصل معه القىء وخفقان القلب . وقلما ينجو المصاب به .

وبهذه المناسبة أذكر الآية الشريفة (**ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة**) يصح أن يتمثل بها لمنع من يريد الدخول على الطاعون .

كما أن لسان حال المقيمين قوله تعالى (**قل لن يصـــيبنا الا ما كتب الله لنا**) .

ويلاحظ أن هذا الحديث الشريف مطابق لما هو معروف (بالكورنتينات) أو الحجر الصحى الذى تجريه الحكومات اذا وقع وباء فى احدى الجهات .

* * *

الحديث الثالث

(حديث الذباب)

عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (**اذا وقع**

الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء) وفى رواية أخرى (**فليغمسه كله ثم ليطرحه**) .

وقع كثير فى خطأ تكذيب هذا الحديث زاعمين عدم مطابقته للحقيقة . وذلك قبل أن تدحض مفترياتهم الأبحاث العلمية وتكشف عما تضمنه من بليغ الحكمة .

ويحق لنا أن نضيف هذا الحديث الى المعجزات العديدة التى جاء بها خاتم المرسلين منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

وان ما يقدمه الذباب من المنافع لآية عظيمة على وجود الخالق وقدرته معلوم أن الذباب يقع على العفونات والمواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تولد الأمراض المختلفة .

أتدرى أيها القارىء الكريم ما هو العمل الجليل الذى خص به الذباب وسخر له ؟ فكما أن الذباب ينقل بعض الجراثيم بملامسته مصدرها فانه أيضا يأكل منها أكثر مما ينقل .

وليس كل واجبه تقليل نسبة وجود الجراثيم فحسب بل ان ما يتناوله منها فى فمه يتحول داخل جسمه الى ما سماه علماء الطب (بالبكريوفاج) أو مبيد البكتريا الذى ينتصر على كثير من جراثيم الأمراض فيبيدها عن بكرة أبيها .

ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها أى تأثير فى جسم الانسان فى حالة وجود البكتريوفاج .

واتماما للفائدة واظهارا للحقيقة أنقل ما جاء بمجلة التجارب الطبية الانجليزية عدد ١٠٣٧ عام ١٩٢٧ قالت :

« لقد أطعم الذباب من زرع ميكروبات بعض الأمراض . وبعد حين من الزمن ماتت تلك الجراثيم واختفى أثرها . وتكونت فى الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمى بكتريوفاج . ولو عملت خلاصة من الذباب فى محلول ملحى لاحتوت على البكتريوفاج التى يمكنها ابادة أربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض . ولاحتوت تلك الخلاصة أيضا على مادة خلاف البكتريوفاج نافعة للمناعة ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم » انتهى كلام المجلة .

وقد برهن على ذلك أيضا الأستاذ الدكتور دريل مندوب الصحة البحرية والكورنتينات المصرية فى الهند للبحث عن ظهور الكوليرا بها . وأنجع الطرق لمقاومتها . وقدم تقريرا مفصلا فى ديسمبر سنة ١٩٢٧ عما أجراه مع زملائه من الابحاث الفنية . والتجارب العلمية .

وقد ذكر فى تقريره أن البكتريوفاج أجسام حية صغيرة الحجم جدا ، أمكن تلوينها ورؤيتها بترسيب ذرات الفضة عليها . وأنه حصل على البكتريوفاج وتمكن من زرعه واذابته فى الماء . واعطاء محلوله الى المرضى

بنسب مخصوصة ، وبزيادة الجرع وتنظيم تناولها كان المريض ينال الشفاء فى يومين أو ثلاثة . وتمكن أيضا من استخراج البكتريوفاج من براز الناقهين واستعماله لنفس الغرض . وكان يضع من زرع البكتريوفاج فى بئر القرية فاذا شرب منه أهلها زالت عنهم أعراض الكوليرا .

وبذلك برهن على أن الذباب ينقل البكتريوفاج من براز الناقهين الى آبار الماء فيشربه الاهالى ويتناولون الاطعمة التى ينقل الذباب اليها البكتريوفاج فسرعان ما تخف وطأة الكوليرا عنهم ثم تزول تماما .

وقد أجريت مثل تجارب الدكتور دريل فى البرازيل عن الدوسنتاريا الحادة . وأيضا استعمل البكتريوفاج فى ايطاليا فى علاج الحمى وكذلك ضد جراثيم الاستافيليكوك فأفاد .

وأطلعت على تفصيل قوة البكتريوفاج فى مقاومة وأبادة الجراثيم فى كتاب باللغة الانجليزية اسمه (تمهيد علم الجراثيم العملى) يكاد يذكر أنها غير محدودة .

فمعنى أول الحديث بعد ما تقدم ذكره (فليغمسه ثم لينزعه) أو حسب الرواية الأخرى (فليغمسه كله ثم ليطرحه) أن الحكمة فى الغمس لادخال البكترويوفاج فى الشراب ليقتل الجراثيم التى تولد منها

والمقصود بالغمس جميع جسم الذبابة لان الحديث لم ينص على غمس الجناحين فقط . وهذا يدل على أن ذكر الداء والشفاء فى الجناحين لفظى لا يفهم منه قصر الضرر والمنفعة عليهما دون باقى الجسم .

وبما أن الجناحين جزء من الجسم فان الطب لا ينفى وجود ميكروب الداء وبكتريوفاج الشفاء فيهما .

والسبب فى التعبير بالجناحين لانهما أهم الأجزاء فى الذبابة اذ بدونهما تشل عن الطيران . ولزيادة التأكيد فى غمس الجسم كله لأن الجناحين أعلى أجزائه ولتقريب المعنى المراد الى أفهام العرب خاصة والناس عامة .

مما تقدم تتحقق صحة هذا الحديث ومطابقته للأبحاث الفنية . ولعلها فى المستقبل تكشف عن أسرار أخرى فى الذباب .

وليس عجيبا أن يخلق الله فى الذباب هذه الخاصية كما جعل دودة القز تحول فى جسمها ورق التوت الى خيوط حريرية . وكما أوحى الى النحل أن تأكل الأزهار فيخرج من بطونها العسل (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) .

سبحانك اللهم وبحمدك . جلت قدرتك . وبهرت العقول عظمتك . والصلاة والسلام على رسولك المصطفى . الذى لا ينطق عن الهوى .

وأقول للمنكرين والمعاندين : (**لكم دينكم ولى دين**)

ابراهيم مصطفى عبده

للبحث بقية ..

دفاع عن التصوف

للاستاذ محمد على الطعمى
واعظ مركز نجع حمادى

الصوفية دعاة الى الله من الطراز الاول ، استجابوا لربهم بالعمل فصفت أرواحهم واطمأنت نفوسهم بذكر الله ، فراحوا ينشرون فى بقاع الأرض عظمة الخالق وجلال المعبود ، فلب الناس نداءهم والتفوا حولهم هاتفين بوحدانية الله . لذلك نرى التصوف مدرسة قائمة بذاتها لها اساتذتها وبرامجها ودروسها ، هذه المدرسة المهذبة استطاعت أن تمهد للاسلام وتدعو اليه بطريقة ايجابية معبرة رغم مالاقته من صعاب وعقبات ففى الهند والمغرب والسودان والصين كان لهؤلاء الأعلام صوت مرفوع وفتح جديد ، ونتيجة صاعدة لا ينكرها الا خور حقود ..

واذا كان العالم الاسلامى تفرغ فى فترة من فترات حياته المأضية للجدل العلمى الذى تحول فيما بعد الى سباب وشتم وعصبية ، نتيجة لتعدد المذاهب والفرق والأهواء ، حتى كانت كل فرقة تتهم الأخرى بالزيغ والزندقة والالحاد طمعا فى ترويج مذهبها وتوطيد أركانها ، فان التصوف لم ينج من غمز ولمز وطعون ، وليت الأمر توقف عند هذا الحد بل رموا أهله بالخرافات والانحرافات وقدموهم للمجتمع فى طبق غير نظيف ، ومع كل هذه الزوابع ظلت مدرسة التصوف مفتوحة الابواب مرفوعة الرأس محتفظة بمسلكها ورسالتها التى تعددت وتشعبت واكتظت بالتلاميذ والرواد ، وفى الوقت نفسه أفلس الذين حاربوا التصوف وناصبوه العداء ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على اخلاص رجاله الذين اشتغلوا بالتبتل والزهد ومحاسبة الضمير .

ان الذين يجادلون فى التصوف ، ويحاولون رجمه بالطوب سبقتهم عباقرة ونبغاء جادلوه ورموه بالطوب والحجارة ، ثم ارتدوا آسفين يدقون أبواب مدرسته من جديد ليؤذن لهم بالدخول ، ففتحت لهم المدرسة مصراعيها ، وفعلا أصبحوا من تلاميذ الصوفية المخلصين ، وفى بطون التاريخ أوجدت الصوفية الاقناع والدليل .

واظن الجدل العلمى حول التصوف والحقد عليه لا يجدى فتيلا ، فقد أصبح كالنهر تماما يبتلع كل مايلقى فيه من غير أن يؤثر على طهارته شيئا فمن الخير لو ضاع هذا الجدل الممل فى عمل مثمر منتج ينفع الناس .

ان ابن تيمية الذى يعتبر المرجع الوحيد والدعامة الاولى لخصوم التصوف لم يقف عند حد ، فقد جاهد على أن يذم وينقص كل من يقف له فى طريق حتى انه سلق المذاهب المعتدلة ، وتطاول على نبغاء الفكر وأساطير

الشريعة ، الأمر الذى جعل العلماء وغير العلماء يفطنون الى نواياه التى تدعو الى التعصب والشذوذ ، وفيه يقول العلامة الشيخ الوردير ٠٠ وابن تيمية ضال مضل خرق الاجماع ٠٠ فكيف بالله نعتمد على رجل خرق الاجماع وسفه المعايير العلمية وانفرد وحده فى المعركة ليشار اليه بالبنان

لقد غالى أصحاب ابن تيمية فيه وأطلقوا عليه سفينة النجاة وشمس العلوم وصبر الشريعة ، ولو وضعناه بجوار الاستاذ الشعرانى المتصوف لغرقت السفينة وانكسفت الشمس وخفت علوم الحبر ابن تيمية فى الميزان ٠٠ لقد وضع الجنيد سيد هذه الطائفة قواعد التصوف فقال طريقنا مبنية على كتاب الله وسنة رسوله ، وتلك هى المحجة البيضاء التى نبعت من نبى البشرية عليه السلام ، ولزمها الأصحاب والأتباع ، فأى غضاضة منه على رجال التصوف ما دامت الشريعة منهجهم ؟

دخلت مرة المسجد فوجدت رجلين يتحاوران ٠٠ يقول أحدهما لصاحبه ٠٠ صلاتك باطلة لأنها خفيفة جدا ، فجلست بينهما فاختصما الى ، فقلت للمصلى أرنى كيف صليت ؟؟ ففعل ٠٠ فقلت له صلاتك صحيحة وتؤجر أكثر لو أطلتها ، ومن يومها اعتاد الرجل أن يصلى الصلاة المطلوبة شرعا ٠٠ فهبنى رأيت متصوفا يحتاج الى نصيحة فى سلوكه ٠٠ هل معنى ذلك أهاجمه وألعنه لعنا كبير أم أوجه اليه النصيحة وأحثه على التزام الشرع الحنيف ؟؟

اننا فى حاجة ملحة الى حسن العرض الدينى مع المبتدئين وغير المبتدئين فى الصلاة والزكاة وسائر ألوان الطاعات - ويجب أن يكون العرض فى ثياب رقيقة مهذبة بعيدة عن الخشونة والتعسف والسفسطة ليعلم من لايعلم أن دين الله يسر وانه فى طاقة الجميع « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** »

لقد كان الرسول لين الجانب سمح الطبع جميل الأسلوب يعرف مواطن العلل فيعالجها كما ينبغى أن تعالج ، وكانت له ندوات روحية محضة يلتقى فيها مع أصحابه ، ليرغبهم فى تأدية العبادات وحسن المعاملات ٠ ويفهمهم رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وحديث «عكاشة» الصمالى المشهور صورة من الفيض والتجلى والالهام « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » ٠

وبعد

فقد اتضح من هذا الموجز البسيط كيف تشابكت الآراء والتحمت الفرق بعضها مع بعض ؟؟ ثم رسبت هذه الآراء فى نفوس اتخذت منها ذريعة للنقد والتجريح فى التصوف وغير التصوف ٠ وهذا افلاس فى الرأى وهروب من الدليل وتمسك بالعمى الكامل ٠

سلام على رجال التصوف الذين تغلبت أرواحهم على أجسادهم فغمروا الدنيا علما وعملا ، وأدبا ونبلا ، سلام عليهم فى كل مكان ٠٠

محمد على الطعمى

قصة الدين والحياة

للأستاذ حامد محمود الزفرى

من العلماء

فانه لحما يحيى آمال الدعاة الصادقين · هذا الصوت الجديد فى صحافتنا الحاضرة · اذ أن المفهوم الثورى للشعب العربى كان ينادى بضرورة صحافة أخلاقية تدعو عن بصيرة وتهدف الى خير الوطن وصلاح المواطنين· فنحن لانستطيع الانفصال عن الاخلاق والايمان بتقاليدنا البناءة الصاعدة ، نحن نؤمن بالفن كتربية للذوق وانعاش للحساسية الجمالية · ولانعترف به كرقصة هولاهوب · نؤمن بالأدب كوسيلة للرقى بالأخلاق ليزيد تماسكنا فى اطار واحد · حتى يوجد المواطن العربى الصالح · والحقيقة الثانية أن المواطن المؤمن بعقيدته ووطنه · هذا المواطن هو الذى رأيناه فى معركة فلسطين ، كارثة العرب وموقظته فى آن واحد · ولم يكن زعيم العروبة جمال الا أحد هؤلاء المجاهدين · اننا لم نر مثلا صاحب كتاب (آلله والانسان) مع المتطوعين فى المعركة ، فالدعوات الانحلالية كالوجودية التى تعبر عن فراغ النفس وقلقها · وأن ليس سوى ما يصنع الانسان لنفسه وانه لمن الضياع أن يلتفت الى ماضيه ليأخذ منه أو يستوحيه تلك دعوة ظاهرة الخطورة على قوميتنا ومعانى حياتنا كشرقيين ودعوتنا كثوريين · ولكن ليس معنى ذلك ألا نطلع على مثل هذه التيارات الانحرافية التى تسربت الينا من الغرب · بل نحن بحاجة الى عرضها عرضا موجبا يأخذ ما يصلحنا وطرد ما يفسد علينا حياتنا ·

ومثلها الدعوة المادية التى ينادى بها البعض معلنا أننا بحاجة الى استبدال تقاليدنا وفق التفسير المادى للحياة والتاريخ ·

والمدهش أن دعاة التقليد الانحلالى والمادى ليسوا مضيفين الى هذه الدعوات أشياء يبدلونها بها كشرقيين ولم ينفعوا بها · فلو أن أحدا منهم

توصل الى أسباب تاريخية واستنبط منها خطوطا وقام بناء نظرية اجتماعية تنهض بالمجتمع وتحقق له سعادته . لو أن الامر كذلك لآمنا به ، ولكنهم يقولون أن التفسير المادى للتاريخ هو الحقيقة ولذلك يجب أن نكون شيوعيين .

وأكبر من ذلك أن يصدر المقال فى مجلة العربى ، حكما على الدين بأنه مفسدة للحياة وعلينا اذاأردنا صلاح دنيانا أن نترك ديننا . ولعمرى ان هذه لفرية وجموح لن يقدم لوثبتنا الا التباطؤ الذى نفر منه .

لقد جرت الثورة شوطا بعيدا فى تحقيق الكيان العربى المتحرر . وبقى أن تقيم البناء الشامخ . بقى أن نأخذ فى طريقنا الاخلاقى . هذا المجرى الأصيل . ان كل من يحمل شعلة التقدم فى وقتنا الراهن مسئول أمام التاريخ والاجيال القادمة عن وضع الاساس للبناء الاخلاقى . دور التعليم بمختلف مراحلها بحاجة ماسة الى بعث الروح الاخلاقية والتقاليد المثالية . المسارح والسينما بعد أن وضح تأثيرهما البارز فى حياة مجتمعنا .

وانا لنعجب من الصحافة .. كيف تتسع للحوادث ولاتتسع لبضعة أسطر أخلاقية . ومما أثلج صدورنا وأبهج نفوسنا . وأحيا آمالنا هذا الرأى الذى ارتأته المشيخة الصوفية . وبحق لقد كانت دعوة خير وأخلاق ووطنية وهى تثبت المرة تلوالاخرى أنها جديرة بالبقاء . وأخيرا لقد كان من الواجب علينا أن نقدم بين يدى القراء هذه اللمحة الخاطفة لكى نستطيع أن نسير معه فى قصة الدين والحياة . داحضين حجج المرجفين . دعاة الانحلال والمادية .

والى اللقاء فى العدد القادم .

حامد محمود الزفرى

من العلماء

ندوة الإسلام والتصوف

أثر التصوف
فى تكوين المواطن الصالح

اجتمعت ندوة الاسلام والتصوف الشهرية فى الساعة السادسة من مساء يوم الأحد ٩ من رجب سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ١٨ يناير سنة ١٩٥٩ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية .

وحضرها من أعضاء الندوة الأساتذة : السيد محمد محمود علوان ، والدكتور محمد مصطفى حلمى ، والدكتور محمد كمال وصفى ، والدكتور عبدالحليم محمود ، وابراهيم محمد البيطاوى ، والسيد محمد عيد الشافعى ، وعبد الرحمن سلامة العطار ، ومالك عثمان خضر ، وطه عبد الباقى سرور .

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية مرحبا بالسادة المجتمعين ، ثم عرض الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، موضوع الندوة وهو :

« أثر التصوف فى تكوين المواطن الصالح »

◉ سماحة السيد محمد محمود علوان :

ينقسم التصوف الاسلامى الى قسمين : قسم يتعلق بالتربية ، والتهذيب ونبل الأخلاق ، والتحلى بالفضائل ، والكمالات الأدبية ، وهو ما اصطلح على تسميته بعلم المعاملة ، وقسم يتعلق بالرياضة الروحية والعبادة ، وما يترقرق فيهما وحولهما من نور وظهر وكشف وفيض وعلوم ومعارف والهامات ..

والقسم الأول هو عماد الفلسفة الأخلاقية فى الاسلام ، وهو السر الكامن وراء تلك المثالية العالية التى اتسمت بها الحياة الاسلامية فى عصور ازدهارها وانتصارها .

وهو مادة عالمية تضىء للانسانية ولرواد الكمال الخلقى ، والصحة النفسية الطريق الصاعد الى الانسان الكامل ، الذى حاولت الأديان كافة ايجاده وابداعه ..

ولم تعرف الانسانية فى تطورها وخطوها الحضارى أفقا أعلى وأسمى من هذا الأفق التربوى الصوفى الاسلامى ، ولا تستطيع فلسفة خلقية أن تبدع ما أبدع التصوف الاســـلامى ، من مبادىء ومثل وآداب تستهدف ايجاد انسانية نبيلة مهذبة كاملة ، تمشى على صراط مستقيم ، وتعمل على ايجاد التوازن فى الشخصية الانسانية المهذبة ، التى لا تطغى آمالها على آدابها ، ولا مبتغياتها على مثلها • انسانية لا تعرف فى صلاتها ومعاملاتها التخاصم والشقاق ، والتنابز بالألقاب ، ولا تعرف الفسوق والجدال ، وسوء الخلق ، ولا تجنح بها عاطفة نحو بغى أو عـــداون ، أو مساس بحق الانسان أو حق الله ، انسانية تعيش أبدا فى الأفق الأعلى لقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : « **وانما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » •

وان كان رجال التربية ، وأساتذة الفكر المثاليين يفكرون اليوم فى ايجاد طبقة من الانسانية ممتازة نبيلة ، كاملة الرجولة ، قوية الحيوية ، ساميـــة الخلق والفكر ، متلائمة التناسق ممن أطلقوا عليها اسم « سوبر مان » أى الرجل الكامل ، أو الخلق الكامل ، فقد وضع رجال التصوف الاسلامى من قرون الصـــورة الحقيقية التامة لهذا النوع من البشرية الرفيعة السعيدة الطاهرة ••

فان المبادىء الأخـــلاقية النبيلة التى وضعها المتصـــوفة واسترعوها للمؤمن لجـــديرة بايجاد مجتمع انسانى فاضل قوى سليم من الأحقـــاد والبغضاء ، بعيد عن الفحش والرذائل الهابطة •

وان النظم التى سنها شيوخنا ووضعوها للمجتمعات ، وطرق اتصالها وتعاملها ، وعـــوامل اتحادها ومحبتها ، لخليقة بايجاد أمة متحابة متعاونة متفانية فى غاية نبيلة واحدة ، تهدف نحو وجهـــة عليا يرفرف عليها علم الأخوة والمحبة ، ويسودها الاطمئنان النفسى ، والكمال الخلقى ، والسعادة والسلام الدائم ، للروح والقلب والأحاسيس •

ان رسالة التصوف التربوية ، هى تطهير الجوارح تطهيرا كاملا عما يلوثها أو يشينها وتزكية القلب حتى عن همسات الغل والحسد ، وايجـاد رقابة حية مضيئة على أفعال الانسان وحركاته وتصرفاته لتندفع جميعها نحـــو الايمان بالمثل العليا ، نحو احساس الفرد بأنه وحدة فى بنيان متماسك ، وحدة نافعة فى مجتمع تعاونى ايمانى طاهر ، أساسه التكافل فى الحياة ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالخير والرحمة ، والضرب على أيدى المفسدين الآثمين المعتدين حتى لا يضـــار المجتمع بهم ، وحتى لا تشيع الفاحشة ، أو يسود السوء : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل

الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضـــو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . »

مجتمع مؤمن بالله ، ومن هذا الايمان تنبثق الصالحات الطيبات ، ويؤمن بالحيـــاة ، ومن هذا الايمان يشـــيع العمل والكفاح لسعادة الانسان وخير المجموع ، وعزة الانسانية كافة ..

ولقد استطاعت المناهج التربوية الصوفية أن توجد المجتمع الاسلامى ، السعيد القوى ، لانها ربطت بين السعادة والفضيلة ، وبين العزة والمثالية ، وبين السلوك الفردى ، والعمل الايمانى ، وبين الايجابيـــة وطاعة الله ، فأنجبت بذلك المواطن الصالح ، الصالح خلقا وعملا وايمانا ، وقلبـــا وحسا وشعورا .

وانا لنرجو فى فضل نهضتنا الحاضرة ، أن يشيع الادب الصوفى ، والخلق الصوفى ، والايمان الصوفى فى حياتنا ، وأن يعمق أثر هذا الروح الصوفى فى كل عمل من أعمالنا ، حتى يغدو الكمال طابع وجودنا .

فالتصوف هو الكمال فى كل شىء ، والتسامى فى كل أمر ، هو العزة المستمدة من عزة الله ، وليس فوق عزة الله عزة .

◉ الدكتور محمد مصطفى حلمى :

التصوف تصوفان : تصوف نظرى وتصوف عملى ، أما التصوف النظرى فهو هـــذا الذى نقرأه فى الكتب والرسائل التى يصـــور أصحابها فيها مذاهبهم ويعبرون عما يجدون فى أنفسهم من أذواق ومواجيد وعما يختلف على هذه النفوس من أحوال ، وأما التصوف العملى فهو هـــذه الرياضات والمجاهدات التى يأخذ بها المشايخ مريديهم ويأخذ بها المريدون أنفسهم ، وهذا التصوف العملى ليس فى الحقيقة الا تطبيقا عمليا لما يشـــتمل عليه التصوف النظرى من مبادىء وقواعد ، وهو بحكم هذا التطبيق العملى انما يعد بحق تربية خلقية وتغذية روحية لنفوس السالكين طريق الله .

والمتأمل فى تاريخ التصوف الاسلامى يلاحظ أن أول ما أخذ هذا التصوف من مظاهر التكون العلمى هو أنه كان فى القرنين الأولين للهجرة عبارة عن علم للأخلاق الدينية الاسلامية ، وأن أصدق تعريف له وأدل ما يكون عليه وقتئذ هو أن التصوف هو الخلق ، ومن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء ، والتصوف فى هذا انما يقوم على الارادة ، فهى أساسه ومجمع بنائه ، والارادة هى التى تميل بالانسان الى جانب الخير أو الشر وهى التى تحمله على التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل ، ومن هنا كانت دراسة الارادة الانسانية أحوالها ونزواتها وآفاتها وفضائلها ومحامدها ..

كان أولئك وكثير غيره من الأمور الرئيسية التى يعنى بدراستها التصوف ، ويعنى بتربيتها المشايخ وبتهذيبها المريدون ، فاذا كان ذلك كذلك فقد تبين اذا أن التصوف ليس كما يزعم بعض الزاعمين ضربا من الدروشة أو لونا من الشعوذة وانما هو على العكس من هذا كله علم له قواعده ومبادئه وعمل على تحقيق المثل العليا فى حدود هذه القواعد والمبادىء ومن هنا نستطيع أن نقول ان المشايخ فى توجيههم لمريديهم ، والمريدين فى خضوعهم لمشايخهم ، انما يحققون المثل العليا التى ينبغى أن يحققها المسلم الصادق فضلا عن المواطن الصالح الذى تتألف منه ومن أشباهه الأمة الراقية حقا .. وجماع القول فى هذا كله أن للتصوف أثرا قويا فى تكوين المواطن الصالح من الناحية النفسية والخلقية والاجتماعية ، وليس أدل على هذا الأثر من أن مشايخ الصوفية فى تهذيبهم لمريديهم انما يعمدون الى نفوس هؤلاء المريدين فيحللونها ويستكشفون دخائلها ويستشفون خفاياها حتى يتعرفوا على ما فيها من علل وأمراض ، وحتى يبرؤها مما تنطوى عليه من أهواء وأغراض قد تفسد عليهم صلتهم بربهم وصلتهم بأشباههم ، ثم هم بعد هذا التحليل يأخذون مريديهم بهذا اللون من التهذيب الذى يقوم على الترغيب تارة ، وعلى الترهيب تارة أخرى ، وذلك على قدر ما يلائم نفس كل مريد ، ثم هم يجتمعون بهؤلاء المريدين فيبصرونهم بما ينبغى وبما لابد منه للانسان لكى يكون انسانا مستكملا من كل نواحيه العلمية والعملية ، والذين ينكرون على التصوف أثره فى تكوين المواطن الصالح ، انما يسرفون على التصوف والصوفية ، ويجحفون بحق الصوفية الذين كان ولا يزال لهم ونرجو أن يظل لهم الأثر القوى فى توجيه الحياة الروحية الاسلامية وفى اقامة هذه الحياة فى نفوس المواطنين من أبناء وطننا العزيز على دعائم من الخلق القويم والصراط المستقيم .

⊙ الأستاذ عبد الرحمن سلامة العطار :

أفاض علينا الدكتور محمد مصطفى حلمى فى الحديث عن التصوف بقسميه ، النظرى والعملى ، ولا أظن أن أحد من الناس يستطيع أن ينكر على التصوف الاسلامى أثره فى تهذيب الخلق وفى رياضة النفس وحملها على الطاعة والانقياد الى الخالق ، وبعدها عن الدنايا حتى من أولئك الذين يظنون بالتصوف الاسلامى الظنون ، غير اننا حين نفكر فى الحديث عن أثر التصوف الاسلامى فى خلق المواطن الصالح انما نريد أن نخط لشبابنا طريقا واضحة الى الخير نحملهم عليها ، ونريدهم على السير فى سبيل مستقيم . نحن نفهم ان التصوف الاسلامى له اتجاهات ثلاثة : أحدها انه انقطاع الى العبادة ، وفناء فى الطاعة ، وزهد عن الدنيا وبعد عن جميع متع الحياة . فهل ،

- والسؤال للدكتور محمد مصطفى حلمى - : نريد أن ندعو الشباب فى هذا العصر المتحرك الى هذا اللون من التصوف الانقطاعى ؟.. أظن أنهم سيقولون لنا انه رهبانية لا يعرفها الاسلام ولا يدعو اليها !؟ ولون آخر من التصوف هو أن يأخذ الانسان من الحياة بقدر قوته وأن يعزف عنها بعد ذلك فلا يفكر فيها ولا يسعى اليها ، وحسبه منها أن يحصل على قوته ، ولعل هذا المعنى هو الذى عبر عنه أبو العتاهية وهو أحد المتصوفة :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

فهل هذا اللون من التصوف هو ما ندعو اليه الآن ، أظن ان كثيرا من الناس سيقولون لنا اننا ندعو الى تواكل ونعمل على خلق جيش من العاطلين ..

اللون الثالث من التصوف هو أن يأخذ كل انسان من الحياة نصيبه غير محدد بكيف ولا كم ما دام لا يجمعه من طريق غير شرعى ، وأن يأخذ بنصيبه أيضا من الطاعة بحيث لا تطغى ناحية على أخرى ، وهذا اللون هو المعنى الخاص بقوله تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** » ..

وفى رأيى ان هذا اللون الأخير يمكن لنا تنظيمه وعرضه على الناس فى صورة شيقة جذابة وحملهم عليه .

أما أثر التصوف فى خلق المواطن الصالح فلا يستطيع أحد أن ينكر انه سبيل وسط الى خيرى الدنيا والآخرة .

⊙ الدكتور محمد مصطفى حلمى :

الواقع انى عندما تحدثت عن التصوف وقلت انه تصوف نظرى من ناحية ، وعملى من ناحية أخرى ، وتحدثت بنوع خاص عن التصوف العملى ، وتحدثت بنوع أخص عن توجيه المشايخ للمريدين ، وخضوع المريدين للمشايخ ، كنت واضحا وجليا فيما أعنيه وفيما قصدت اليه ، من اثبات الأثر الروحى والخلقى للتصوف فى تكوين المواطن الصالح ، أما التصوف من حيث هو زهد وانصراف عن الدنيا واقبال على العبادة وانقطاع لها وفناء فيها كما يقول الاستاذ **عبد الرحمن سلامة العطار** فذلك وان كان معنى من معانى التصوف الا انى لم أدخله فى حسابى وانما الذى أدخلته وعنيته بالذات هو هذا الاثر العملى التربوى التهذيبى الذى يقوم عليه التصوف فى ناحية من نواحيه العملية الخالصة وأعنى بالعملية هذا مايتصل

من حياة الانسان بحياة الجماعة التى يعيش فيها والتى يعمل لهـا ويؤدى واجبه فيها على أحسن ما ينبغى أن يكون الاداء ٠

• الدكتور محمد كمال وصفى :

تبين مما تقدم أن الطرق الصوفية هى مدارس للتربية الخلقية ولتنمية المثل العليا فى النفوس سواء فى العبادة أو فى العمل وان معنى العبادة لا يقتصر على الانقطاع المجرد والتبتل ولكنه أيضا فى العمل وفى الضرب فى مناكب الارض وفى تحقيق المصالح لقوله تعالى : « **وقل اعملوا** » وقولـه : « **ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك** » أى لا تنسى ما أنت مكلف به من الواجبات وما أنت قائم عليه من المصالح ولقوله عليـه الصلاة والسلام : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا السعى فى المعيشة » وقوله للعابد المنقطع اذ يقارنه بأخيه المتكسب : « أخوك أعبد منـك » ٠ وأن الصوفى يجب عليه أن يقوم بحق الله حيث أقامه وفى ذلك يقول امامنا الشاذلى : « نحن لا نقول للزارع اهجر زراعتك وتعال الينا ٠ ولا للصانع اترك صناعتك من أجلنا ٠ بل نقول لهم احسنوا حيث أنتم واخلصوا لله »

فاذا تدبرنا حقيقة الطرق الصوفية لوجدناها مدارس حقيقية تقوم على الارشاد والتوجيه طبقا لمناهج مدروسة مبحوثة وهى جامعات تقوم فيهـا الصلة الوثقى بين الاستاذ وتلميذه حيث يجمع بينهما عطف الكبير ورعايته واخلاص المريد وطاعتـــه ، وحب جامع بين المنتسبين للطرق ولو تشبعت سائر المعاهد والجامعات بهذه الروح لآتت أطيب الثمار ولكان لها أقوم الاثر فى التقويم والتربيب ٠ فنحن نعيب على معـــاهدنا وجامعاتنا ضعف الصلة الروحية بين الطالب وأستاذه ٠

ويكفى لكى نلمس الاثر الواضح للتصوف فى تقويم المواطن وتربيته أن نلمس عمق أثر الانتمـاء الى الطـــرق فى نفوس الناس اذ أنهم يشغلون بالاجتماع فى مجالس الذكر عن الاجتماع فى بؤر السوء ومجـالات الاثم فيتطهرون بدنا وثوبا واستعدادا لمجالس الذكر الدورية ويترابطون بينهم برباط المحبة والوفاء ،بدلا من أن تشيع بينهم العدواة والبغضاء ويرتبطون بأسمى المثل وهـــو العمل لوجه الله الخالص فيحققون بذلك ما دونه من المثل ، كالعمل على اصلاح النفس ، وظروف الحياة ، والعمل على ما فيـــه

صالح الوطن والانسانية قاطبة لقوله عليه السلام : « حب الاوطان من الايمان » وقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

واذا تدبرنا تاريخ هذه الامة والحركات الشعبية فيها لوجدنا أن انتصار هذه الحركات وعنفوانها كان فى أوقات القوة الروحية وتغلغلها فى النفوس ففى هذه الايام انتصر المصريون على الفرنجة وأسروا مليكهم لويس التاسع بالمنصورة ، وكان امامنا السيد البدوى وتلميذه السيد عبد العال ،وتلميذه السيد مجاهد روادا لهذه المعارك ، وكذلك فى انتصار مصر على التتر فى عهد السلطان « قطز » وكانت الصوفية فى ذلك العهد على أشدها فى مصر ، وكذلك فى انتصارهم على نابليون وقومة القاهرة عليه كقومة رجل واحد وخروجه منها فى وقت كانت الصوفية فيه على أشدها كل ذلك يشهد بأن التصوف مدرسة عليا للوطنية والجهاد وتكوين المواطن الصالح .

الندوة القادمة

وانتهت الندوة فى تمام الساعة الثامنة على أن تجتمع فى الشهر القادم كالمعتاد باذن الله وسيعلن عن موعدها فى حينه

أصحاب امتياز التعبئة : مصانع تعبئة سيكو - س.ت ٣٣٠٩٤

العمل روح الحياة

للاستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
واعظ مركز شبين القناطر

ان مجد الدين والوطن ، لا يبنى الا بأيدى نفوس فتية قوية ، تعرف كيف تؤدى الواجب فى أمانة واخلاص وعزم وتصميم ، وتأخذ الحق فى أناة وصبر ورفعة وحزم . وعلى كاهل أمة ناهضة ، لا تتهاون فى أداء عمل ، ولا تضيع ساعة من حياتها فى لهو وكسل ، بل تشغل جل وقتها ، بوضع لبنات فى صرح عزها .

وانه ما عرف العالم بأسره دينا من الاديان : حث على العمل ، وانتهاز الفرص ، كدين الاسلام قال الله تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » وروى البخارى فى صحيحه عن المقداد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكل عبد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وعن الحسن رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى : « **وشاهد ومشهود** » انه قال ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد ، وانى على ما يعمل فى شهيد ، فاغتنمنى فلو غابت الشمس فلم تدركنى الى يوم القيامة . فترك العمل عكس ما جاء به الاسلام .. وليس الدين منحصرا فى العبادة من صلاة وصيام وزكاء وحج فحسب ، أو فى الفرار من الناس واعتزالهم ، بل ان التبتل فى الدنيا ، والعزلة عن المجتمع ، وحب الخلوة عن الخلق ، ليس مما يحتمه الدين الاسلامى ويدعو اليه . وكل عمل من أعمال الدنيا ، يراد به وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، انما هو من صميم الاسلام . ومن الدين أن يقوم الناس بأداء ما تتطلبه شئون الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وحرفة ومهنة وخدمة ، بالطريقة السليمة التى بينها الاسلام وارشدت اليها تعاليمه ، والله جل شأنه يثيب عليها ، كما يثيب على الطاعات ، وسائر العبادات ، وكل ما هو من صميم الدين . عن كعب ابن عجرة رضى الله عنه قال : « مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله !! فقال صلى الله عليه وسلم .

ان كان خرج يسعى على أولاد له صغار فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم قوم على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر من الذكر .. فقال : أيكم كان يكفى طعامه وشرابه ؟ فقالوا : كلنا ، فقال : كلكم خير منه » فلا نزاع فى أن كل انسان فى هذه الحياة الدنيا مطالب بأن يعمل : اما لنفسه ، ليحيى حياة كريمة ، ويعيش عيشة راضية . واما لاهله وبنى وطنه ، ليتم بينه وبينهم تبادل المنفعة والمشاركة فى كل عمل يحفظ كيانهم ، ويحمى ناموس وحدتهم . واما لمن يأتى بعده ، ليهيى لهم الجو الصالح والبيئة الحسنة بما يخلفه لهم من مآثر طيبة يعيشون فى ظلالها ، فى هدوء واطمئنان ، وراحة بال وصلاح حال . وقديما قيل : غرس من قبلنا فأكلنا ، ونغرس ليأكل من بعدنا . وقال الشاعر الحكيم :

لسنا وان آباؤنا كرمت

يوما على الآباء نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا

تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

فاذا قصر الانسان فى مطلب من هذه المطالب ، وركن الى حياة الدعة والتواكل والخمول : كان كالعضو الاشل فى جسم الهيئة الاجتماعية يجب بتره ، بعد اليأس من شفائه ، خشية سريان العدوى منه الى غيره من بقية الاعضاء .

وقد رغب الدين الاسلامى الانسان فى أن يطلب الرزق عن طريق العمل ، ليستفيد ويفيد قال الله تعالى : « **فابتغوا عندالله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون** » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والتمسوا الرزق فى خبايا الارض » ولله در من قال :

تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما أن تجاب فترزقا

وحث على احياء الارض الموات ، باعدادها للغرس ، أو بتهيئتها للزراعة أو نحوها .. وان مشروع الوادى الجديد: الذى ستقوم حكومتنا الرشيدة، بتنفيذه وابرازه الى حيز الوجود ، سيجعل من الاراضى الصحراوية ، فى القريب العاجل (ان شاء الله تعالى) جنة وارفة الظلال ، يانعة الثمار ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها . وهى الآن تقوم بتهيئة التربة واصلاحها،

وحفر الآبار اللازمة لها ، والتى تكفى لرى تلك الرقعة الشاسعة المترامية الاطراف ، التى تعد بالملايين من الافدنة ، ثم لا تلبث أن تقوم ببذر الحبوب وغرس الاشجار ، وبناء المساكن والمنشآت للذين يفدون الى تلك البقعة من أرض الوطن المفدى ، لعمارتها والاقامة فيها . وسيكون هذا المشروع مصدر خير ورخاء وتقدم وازدهار ، وتكفل الله عز وجل لمن يقوم بهذا العمل الجليل بالعون والبركة ، وعظيم الاجر وحسن المثوبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة ثقة بالله واحتسابا ، كان حقا على الله أن يعينه ، وان يبارك له » وقال عليه الصلاة والسلام : « من نصب شجرة وصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له فى كل ما ينتفع به من ثمرها صدقة » وروى مسلم فى صحيحه : أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على أم بشر الانصارية فى نخل لها فقال : من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟ قالت : بل مسلم يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا ، فيأكل منه انسان أو دابة أو شيء الا كانت له صدقة الى يوم القيامة » .

فواجب علينا أن نكد ونعمل ، لاعزاز ديننا ، واكرام نفوسنا ، ورفعة وطننا ، بل ولاسعاد البشرية جمعاء قال الله تعالى : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » . ولينظر كل منا فيما قدم لنفسه ولدينه ولوطنه ، وليحاسب نفسه أولا بأول ، وليراجع بدقة وتبصر كشوفات أعماله ، وسجلات أفعاله ، فان وجد حسنا فليزدد اقداما ، وان وجد سوء فليرجع احجاما فقد ورد فى الاثر : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم » .

وقد وعد الله المؤمنين العاملين ، بالفوز والنصر المبين ، فحقق لهم وعدهم ، وأنالهم مأربهم ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا قال تعالى : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » وفقنا الله جميعا الى العمل بما فيه خير العروبة والاسلام .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

واعظ مركز شبين القناطر

حكايات صوفية

للاستاذ محمد لبيب البوهي

لا يجزع الصوفى من الكارثة تصيبه فى دنيـــاه . بل ربما وجد فى الاذى يصيبه من الناس سنة هى دائما أبدا من نصيب الاولياء . فاكثر الناس بلاء الامثل فالامثل ــ والنبى صلى الله عليه وسلم مكث ثلاثة عشر عاما كلها جلال وشدة وبلاء .. وحين انتقل الى المدينة لم تكن له راحة بين جهاد ومعاناة وكذلك أصحابه من بعده ، وجلهم ماتوا مقتولين . فقد مات الصديق مسموما ، ومات الفاروق مقتولا وعثمـــان مذبوحا وعلى مضروبا بالسيف والحسن مسموما والحسين مقتولا حتى لعبوا برأســـه بالشام ثم دفن بمصر .

ومن الحكايات المشهورة فى هذا الباب قصة فقهاء بغداد مع الجنيد فقد سعوا الى المتوكل بأنه تزندق هو وأصحابه فقال لهم المتوكل وكان به ميل الى الجنيد .. يا أعداء الله ما أردتم الا أن تفنوا أولياء الله من الارض واحدا بعد واحد ، قتلتم الحلاج وانتم ترون له كل يوم عبـــارة ولا تزدجرون وأنتم تريدون اليوم الايقاع بالجنيد . ولكنى أرى أن لا سبيل لكم اليوم حتى تغلبوه بالحجة وتكشفوا زيفه وزندقته فاجمعوا له الفقهاء واجعلوا له معهم مجلسا .

فأجابوا المتوكل الى ما طلب وجمعوا له كثيرا من الفقهاء من شـــتى الامصار ، فلما اجتمعوا فى مجلس المتوكل بعث الى الجنيد ، فأتى مع نفر كبير من مريديه حتى اذا كانوا بباب القصر دخل الجنيد وترك أصحابه بالباب . فأدى حق الخليفة من التحية والتعظيم وجلس فقام أحد الفقهاء اليه يسأله فسمعه القاضى على بن أبى ثور فقال : هل تسألون الجنيد ..؟

قالوا : نعم فصـــاح .. أفيكم من هو أفقه منه ــ فقالوا لا .. فأجاب يا عجبا .. هو أفقه منكم فى علمكم وقد تفقه فى علم تنكرونه عليه فكيف تسألون رجلا لا تدرون ما يقول .. فبهت القوم ثم سكتوا حتى قال قائل منهم .. ما العمل ياقاضى المسلمين .. ؟ أشر بما شئت .. فأمرك مطاع

فرد القاضى وجهه الى الامير وقال .. يا سيدى دع الجنيد هنا وارسل الى أصحابه حامل سيفك وهو الوليد بن ربيعة ينادى فيهم .. من القوم الى السيف .. ؟ فأول من يقوم منهم نسأله .

فقال الخليفة يرحمك الله ــ لم تريدنا أن نروع القوم ؟ فأجاب القاضى يا أمير المؤمنين ان الصوفية يحبون الايثار على أنفسهم حتى بأرواحهم

فالرجل الذى سيقوم سيكون أكثر الناس صدقا لطريقته وفى ذات الوقت أكثرهم جهلا لانه سيؤثر أهل العلم منهم بالحياة ليمتد علمهم . فاذا قدم أجلهم جعلناه يناظر الفقهاء وعند ذلك لن يغلبوه ولن يغلبهم فيقع الصلح بيننا وبينهم فانها قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندرى لمن تكون النجاة منها فانه ان قتل الجنيد نزلت داهية بالاســـلام فانه قطب الايمان فى عصرنا وان قتل العلماء فهى مصيبة عظيمة .

فاقر الخليفة ما ذهب اليه القاضى . وخرج حامل السيف على المريدين وهم مائتان وسبعون رجلا قعودا ناكسى رؤوسهم وهم يذكرون الله فنادى فيهم أفيكم من يقوم الى السيف ، فقام اليه رجل يقـــال له أبو الحسن النورى وثب قائما كالطير فقال له حامل السيف .. يا هـــذا أعلمت لما قمت له .. ؟

فقال نعم — ألم تقل أفيكم من يقوم للسيف ؟ فقال حامل السيف نعم — فأجاب الرجل .. علمت أن الدنيا سجن المؤمن فأحببت أن أخرج الى دار الفوز .. وان أوثر أصحابى بالعيش ولو ساعة ولعلى أقتل فينطفىء الشر بى ويسلم جميعهم .

ولما جىء بالرجل الى مجلس الفقهاء سأله القاضى ..

من أنت .. ؟ ولم خـــلقت ؟ .. وما أراد الله بخلقك واين هو ربك منك .. ؟

فأجاب الرجل — ومن أنت أيها السائل .

فقال أنا قاضى القضاة ..

فقال الرجل .. اذن لا رب غيرك ولا معبود سواك انت قاضى القضاة وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا ضحى فأين النفخـــة فى الصور التى قال الله فى شأنها « **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله** » اننا ممن صعق أم ممن شاء الله ؟

فبهت القاضى هنيهة ثم قال : يا هذا جعلت منى الها .. !! قال : معاذ الله بل انت تألهت حيث تسميت بقاضى القضاة . وليس قاضى القضاة الا القاضى الذى يقضى ولا يقضى عليه اضاقت عليك الاسماء — أما كفاك قاضى المسلمين — ! أو أحد الفقهاء أو أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضى القضاة — اذ استكبرت ان تقول أنا على بن أبى ثور — وما زال بالقاضى يقرعه حتى بكى القاضى . فلما أفاق القاضى . قال يا أبا الحسن أجبنى عن مسألتى وأنا أتوب الى الله بين يديك .

فقال اذكر مسألتك فانى نسيتها .. فأعاد عليه السؤال .. فنظر عن يمينه وقال أتجاوبه ؟ - ثم قال حسبى الله - ونظر عن يساره مثل ذلك ثم نظر امامه وقال أتجاوبه . ؟ ثم قال الحمد لله ثم رفع رأسه الى القاضى وقال :

أما قولك من أنت ، فأنا عبد الله لقوله تعالى « **ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا** » - وأما قولك لماذا خلقت - فكان الله كنزا لا يعرف فخلقنى لمعرفته قال تعالى « **وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون** » أى ليعرفون .. وأما قولك ما أراد الله بخلقى فما أراد بى الا كرامتى قال تعالى «**ولقد كرمنا بنى آدم**» وأما قولك أين ربك منك فهو منى حيث أنا منه لقوله تعالى « **وهو معكم أينما كنتم** » .. فهو معنا أينما كنا معه فان كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى اليه وان كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة وان كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة وان كنا بالتوبة كان معنا بالقبول وان كنا بالشرك كان معنا بالعقاب

قال صدقت .. فأخبرنى أين هو منى ؟ فقال أخبرنى أين أنت منه أعلمك أين هو منك

قال صدقت يا على فيما قلت ولكن اخبرنى بمسألة ثانية ، لم ملت عن يمينك حين سألتك ؟

قال أعز الله الفقيه ان المسألة التى سألتنى عنها لم يكن عندى فيها جواب لاننى ما سئلت فيها قط ولا سمعتها فلما سألتنى عنها لم يكن عندى ما أخبرك به فيها فسألت الملك الكريم الذى يكتب فى اليمين فقلت أتجاوبه أنت فقال لى لا علم لى فقلت حسبى الله وفوضت أمرى الى الله وكذلك فعلت عن شمالى وأمامى ثم أخيرا سألت قلبى عن سره عن ربه ما أجبتك به

فقال له القاضى - يا هذا أتكلمك الملائكة ؟

فأجاب .. ويحك أما ترى رب الملائكة حين هدانى لحجتى وكنت لا أعرفها

فقال القاضى : الآن صح عندى حمقك وثبت عندى كفرك وزندقتك فما تريد أن أفعل بك وبأى قتلة تريد أن أقتلك

فأجاب .. ويحك أما ترى رب الملائكة كلمنى حين هدانى لحجتى وكنت لا أعرفها

تقضى ولا يقضى عليك فاقض بما شئت

فرد القاضى رأسه الى المتوكل وقال يا أمير المؤمنين (**اترك هؤلاء فان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم . هؤلاء مصابيح الدين .. ودعائم الاسلام**)

فعند ذلك عطف الخليفة على الجنيد

أما بعد فهذه هى بعض محن الصوفية

محمد لبيب البوهى

الهيئـــة الزراعيـة المصرية

لجـــان مكافحـة آفات القطـن

مساهمة من الهيئة الزراعية فى المحافظة على المحصول الرئيسى للبلاد من فتك الآفات التى قد تصيبه منـذ الزراعة حتى الجنى ـ قد كونت الهيئـة لجانا زودتها بموتورات مائلة و٢٠ شاشة لكل موتور وتعالج اللجنة فى اليوم مساحة تتراوح بين ٥٠ و ٧٠ فدانا من القطن نظير أجر قدره ٤ ج يوميا.

فمن يرغب فى قيام قسم الحشرات بالهيئة الزراعية بمقاومة آفات القطن بزراعته أن يقدم طلبـا مصحوبا بتأمين ٥٠ خمسـون قرشا عن كل فدان ومبينا فيه المساحة والجهة .

وقد وفرت الهيئة جميع الكيماويات الخاصة بآفات القطن وأسـعارها تسليم أرض المعاوض ـ بالجزيرة كالآتى :

نوع المادة	الطن مليم جنيه	الكيلو مليم جنيه	اللتر مليم جنيه	العبـوات
توكسافين زيتى ٦٠٪	ـ ر٢٥٠	٢٥٠ر ـ		براميل ٦٠٠ر١٣٥ كجم
د. د. ت لندين ٩/٣٠	ـ ر٣٨٠	٣٨٠ر ـ		« ٢٥ «
كوتن دست ٣ ـ ١٠ ـ ٤٠	ـ ر١٢٥	١٢٥ر ـ		« ١٠٠ «
د.د.ت مستحلب ٢٥ ٪	ـ ر٢٠٠	٢٠٠ر ـ		« ٢٠٠ «
ايكاتين ٢٠ ٪			١ر٣٠٠	« الامنيوم ٢٥ لتر
هيتا ايزوستوكس ٢٥ ٪			١ر١٠٠	« « ٢٥ «
هيتا ايزوستوكس ٢٥ ٪			١ر٢٠٠	« « ١٠ «

زوروا

سوق الانتاج الصناعى و الزراعى

بأرض المعارض بالجزيرة
بالقاهرة

(سوق الانتاج الصناعى والزراعى)
صورة صادقة ومشرفة لصناعة العرب اليوم

دار القاهرة للطباعة
٣٦ شارع منصور ـ القاهرة
تليفون ٣٠٨٠١ ـ ٣٠٨٢٤